مشتبكة مع مصالح الاوربيين في جميع أقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم ان يشتغل للاستفادة من غيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم ٠»

م ٠ ك

الرسالة النباتية

جردنا هذه الرسالة للاستاذ الامير مصطفى الشهابي من هذه المجلة وهي كما علم القراء في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف وقصدنا بذلك ان يقف عليها من لا يطالعون على أجزاء هذه الصحيفة ٠ وأبحاث الاستاذ المؤلف على ما يوقن العارفون لا تحتاج الى تقريظ لانها أثر من آثار البحث والدرس وله الفضل في استخراج مئات من الألفاظ من معاجم اللغة العربية في المعاني الزراعية وايجاد ما يقابلها من الاسماء اللاتينية هذا الى غير ذلك من أبحاثه التي يعرفها قراء هذه المجلة ٠ م ٠ ك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طوق الحمامة

« في الألفة والألاف تأليف الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي المتوفى »
« سنة ٤٥٦ هـ عنيت بنشره مكتبة عرفة بدمشق »

تمثلت الحياة لعين السلف بصورتها الحقيقية فخبروها وادركوا ماهيتها واجادوا وصفها فما تركوا لها ظاهرة الا وقد احصوها ولا خافية الا وقد نفذوا اليها ببصائرهم فجاءت مؤلفاتهم في هذا المبحث ضافية وافية تنم على فضل غزير وسعة علم وعلو همة ٠

وقد اتى عهد طويل على كثير من هذه المؤلفات كانت فيه مهملة لا تعرف قيمتها ولا يقدر نفعها لما غشي بصيرة الخلف من جهل وضلالة حتى انها كادت تندثر لولا ان تداركها الغرب بحكمته فعني بجمعها وحفظها ونشرها ٠ ومن هذه الكتب القيمة التي طوتها العصور الى عهد قريب « طوق الحمامة » في الألفة والألاف للعالم الكبير الامام ابي محمد علي بن

حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فقد اتى فيه المؤلف على صفة الحب ومعانيه واسبابه واعراضه وما يقع فيه وله مقتصراً في جميع ما اورده على الحقيقة المشاهدة والحوادث الواقعة والخبرة الشخصية لجاءت رسالته هذه صفحة ادبية اجتماعية أخلاقية تنير ناحية مظلمة من نواحي النفس البشرية وتحل عقدة هي اشد عقد الحياة الاجتماعية تعقيداً الا وهي الحب الجنسي منذ النظرة الاولى حتى النفس الاخير على ما يتخلل هذين الأصلين المتقابلين من علامات وصفات وتعريض واشارة ومراسلة وسفير وطي سر واذاعة وطاعة ومخالفة ومساعد ورقيب وواش ووصل وهجر ووفاء وبين وتنوع وخنى وسلو وقبح معصية وفضل تعفف وذلك باسلوب لا يختلف عن مناهج العصر الحاضر في التأليف وعبارة سهلة ممتنعة يتخللها قطع شعرية من نظم المؤلف مما يجعل لهذا الكتاب شأناً ادبياً واجتماعياً وينم عن فضل مؤلفه وغزارة علمه وسمو خلقه وسعة خبرته وصدق فراسته .

وكنا نود لو اشار الناشر الى الاصل المطبوع في ليدن من هذه الرسالة البديعة لئلا يُغمط حق ناشره الاول .

اسعد الحكيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب الادب القديمة والحديثة

- ٢ -

كنا أسلفنا فيما سبق كلمة تحت هذا العنوان بينا فيها حالة كتب الادب وما منيت به في الطبع والشرح ووعدنا بتقديم مثالين على صحة ما قلناه وقد ذكر المثال الأول ونشر في الجزء ٩ و١٠ والمجلد ١١ من هذه المجلة ثم حيل بيننا وبين انجاز القول بما لاطاقة لنا برده .

والآن نقدم للقراء الكرام كلمة في المثال الثاني وهو زهر الآداب وفاء بما وعدنا .

كتاب زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحق الحصري القيرواني يغني اسمه عن التعريف به وشهرته في عالم الادب العربي تكفي مؤنة الاسهاب في مدحه واطرائه وقد طبع غير مرة ولم تسلم طبعة من الزيادة على سابقتها في التحريف والتصحيف حتى اصبح ذلك الزهر والثمر مسيجاً بشوك من الأغلاط والتشويه لا يبلغ الا بشق الانفس . ثم قيض الله لاحياء هذا الكتاب الجليل الاستاذ الفاضل الدكتور زكي مبارك فعني بطبعه وشرحه وصدر هذه الطبعة بما يأتي قال في الجزء الأول منه :

وقد ظل بين يدي نحو تسعة اشهر وانا معتقل في سنة ١٩٢٠ فقرأته ثم قرأته وعنيت بضبطه وتصحيح ما وقع فيه من الاغلاط ثم رأيت ان افصله . . .

ثم قال : كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد من غير ضبط ولا شرح وكان يكفي ان يطبع الكتاب طبعة ازهرية ليصبح مثالاً في المسخ والتشويه والتقذى في قراءته العيون وتضل في فهمه العقول فأنفقت من جهدي ومن وقتي في تحقيق ماجناه مر السنين وعبث الجاهلين ما لا أمن به على القارئ الا وانا آسف محزون .

ثم قال : في الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ولا غرابة في ذلك فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الانصار وقد اعتمدت في ضبط هذه الطبعة على مراجعة الاصول التي أخذ

منها زهر الآداب وعلى ما اتى به من مختلف المعاجم والقواميس فان استطاع القارىء ان يلفتني الى خطأ فاتني اصلاحه فاني بشكره خليق . وقفت على هذه المقدمة فاخذتني نشوة الطرب لما جاء فيها وكدت أطير فرحاً بابراز هذا الكتاب الجليل الى عشاق الادب مصححاً منقحاً مشروحاً وحمدت الله على ان لم يكن طبع طبعة ازهرية ولم يكن مثالاً للمسخ والتشويه .

الا ان القدر لم يشأ ان يكون مدى سروري اكثر من لمح البصر .

فلقد تصفحت بضع صفحات من كل جزء فسقطت على مالم اكن اتوقع . واصطدمت بما لم يقع في الحسبان .

ولما كان الاستاذ الفاضل أذن للقارىء — ان استطاع — ان يلفته الى خطأٍ فاته اصلاحه . رأيت ان الفت نظره الى ما عثرت عليه عند نظري في هذا الكتاب نظرة عجلى . نزولا عند رغبته . ورغبة في تلافي ذلك في طبعة أخرى وقد افردت ما جاء في كل جزء على حدة ليكون ذلك اقرب الى الرجوع الى الاصل عند ارادة ذلك .

فما جاء في الجزء الاول :

في ذيل الصفحة ٢ . تفسيره النقد بالوزن والتحرير والتقدير بالضبط . وذلك غير سديد .

وفيه ايضاً . قال في تفسير مدابرة . ذات سأم وملال والمدابرة في الاصل المزية . والمذكور في كتب اللغة دابره اذا قاطعه واعرض عنه وعاداه . ولم اجد المدابرة بمعنى السأم والملال وفي ديوان ابي العتاهية . مدبّرة وفي نسخة . مصرفة .

وفي ص ٦ زمن المروءة وفسر الزمن بالبالي والمشهور في هذه القصة زمر المروءة اي قليلها . ولا يخفى ما في تفسير الزمن بالبالي .

وفيها . وان من الشعر لحكمة ويروى لحكماً . ضبطها بكسر الحاء وفتح الكاف . والصواب لحُكماً بضم الحاء وسكون الكاف بمعنى الحكمة .

وفي ص ٧ كان يزبرق عمامته اي يصفرها بالغين والصواب يصفرها بالثاء .

وفيها . احدى النفثات في العقد . والصواب النفاثات .

وفي ص ٩ وعقلة المستوفز فسر العقلة بالعقال والمستوفز بالمستعجل . وهو القاعد منتصباً غير مطمئن يقال اطمئن فاني اراك مستوفزاً .

وهذا من كلام ابن الرومي · والذي في ديوانه وطلقة المستوفز · وفي امالي القالي ونهزة ما مثلها ·

وفي ص ١٣ وعقلة الظبي وحتف المتقل · وهذا من كلام المتنبي · وقد فسر المتقل بالظبية التي استبان حملها · وهو خطأ والصواب وحتف التتفل كما في ديوان المتنبي ·

وفيها : وقد رعتها اذ كان شعري رائعاً وطرف مشيبي عن عذاري ارمد ضبط شعري بكسر الشين والصواب الفتح ·

وفي ص ١٤ واسمه عمير بن شبيم بالباء الموحدة والصواب بالياء المثناة ·

وفيها : ويقال للصقر قطامي وقطامي والصواب قطامي في الموضعين ·

وفيها : حياء وتقيا · والصواب وبقيا كما في امالي القالي ·

وفيها : ما ظل مسلما · والصواب ما طل ·

وفيها : لغر الثنايا · والصواب كغر الثنايا ·

وفي ص ١٥ من كثب ناظر · والصواب من سالك ·

وفيها : رمين فانقذن القلوب · والصواب فاقتدن ·

وفيها : الأجرى · وفي القالي الاجوى وعليه لا يصح تفسير الحيزوم بما اكتنف الحلقوم ·

وفيها : الى هذا يتطرق : والظاهر · وهذا ينظر الى ·

وفي ص ١٦ لرنا لمهجتها · والرواية · لرؤيتها كما في الديوان ·

وفيها : نظر السليم · والرواية السقيم كما ذكره في الذيل ·

وفيها : سعدى · ضبطت بكسر الدال · وهي بفتحها ·

وفي ص ١٧ ووافق فيه قطراً · والرواية ووافق منك فطراً كما في امالي القالي ·

وفيها : اوعصا زبد : ضبطت بكسر الزاي والصواب الضم ·

وفي ص ١٨ فمن لؤلؤ تجنيه : والرواية تجلوه كما في الديوان ·

وفيها : فسر الظلم بالثغر · وهو ماء الاسنان وبريقها لا الثغر ·

وفي ص ١٩ المناج ضبط بفتح الميم والصواب كسرها ·

وفيها القعب ضبط بضم القاف والصواب فتحها ·

وفي ص ٢٠ انها لرشحاء · وفسرها في الذيل بانها كثيرة العرق وذلك من عيوب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النساء . والصواب رسحاء اي قليلة لحم العجز والفخذين .

وفي ص ٢١ الكتبة بضم الكاف وسكون الباء والصواب سكون التاء وفتح الباء .

وفي ص ٢٢ بقافية انفاذها وفي ديوان جرير بقارعة .

وفيها : فرى هندواني وفسر الفرى بالشق والصدع وفي الديوان قرى بالقاف وهو الصواب

وفي ص ٢٣ فسر الدمنة بمربط الخيل والابل . ولا يخفى ما فيه .

وفي ص ٢٤ فسر القوام بكسر القاف . بالتقويم ولم اره لغيره .

وفي ص ٢٥ قال : يفري الشعر بمحوه ومحو الشعر كناية عن غاية الابذاء . والمعروف فري الشيء قطعه وشقه .

وفيها : ولكن لئيم لا يقوم له زند . والرواية ولكن هجين ليس يورى له زند .

وفي ص ٣٦ فانك لم يفخر عليك كماجز وفي ص ٣٧ كفاجر . والمعروف في البيت كفاخر .

وفي ص ٣٩ فسر الحجزة بالحضن . والصواب معقد الازار ومن السراويل موضع التكة .

وفي ص ٤٠ وسيف لا ينبو . قال في تفسيرها والنبوة عدم الاصابة ويقولون لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة . والصواب أن يقال نبا السيف عن الضريبة اذا كلّ وارتد عنها ولم يمض .

وفي ص ٤٢ وكان قد جزع المزاد ذكره في موضعين بالزاي والصواب المذاد بالذال .

وفي ذيلها . فسر الضراب بالمطاردة . وقال فيه . الدكادك جمع دكداك والظاهر ان الدكادك جمع دكدك واما دكداك فجمعه دكاديك .

وفي ص ٤٥ ونجل لحل لا يقرف . فسره في الذيل بقوله . لا يقرف من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير يريد انه قوي متين لا تقربه الادواء . وما ابعد هذا التفسير عن قول الاصل . ان العود من لحائه والولد من ابائه والله انه لنبات اصل لا يخلف ونجل لحل لا يقرف وظاهر انه من القرفة يقال اقرف الرجل دنا من الهجنة والاقراف من قبل الفحل والهجنة من قبل الام . والمقرف من الخيل الهجين وهو الذي امه برزونة وابوه عربي وقيل بالعكس والمقرف ايضاً النذل قال الشاعر :

فان يك اقراف فمن قبل الفحل

وفي ص ٤٦ ان العباءة لا تكلك وان يكلك من فيها والصواب وانما يكلك .

وفي ص ٤٧ فصول القول والصواب فضول .

وفيها : والنقرى دعوة الفرد والمعروف دعوة بعض دون بعض .

وفيها : لا ترى الآدم فينا ينتقر . والصواب الآدب .

وفيها : قال في تفسير بيت زهير وهل ينبت الخطي الا وشيجه .

الوشيج عروق القصب . ومن البين ان المراد بالوشيج هنا شجر الرماح .

وفي ص ٤٨ مقامات حسان وجوهها . والرواية وجوههم .

وفيها : فلم يفعلوا او لم يلوا ولم يألوا والصواب ولم يليموا .

وفي ص ٥١ سرك من ذمك . والظاهر . سرك من دمك .

وفيها : بدن لا يشتكي مثل مالاً يزكى . والظاهر مثل مال لا يزكى .

وفيها : هل تعدّنّ سالماً . الى آدم ام هل تعدّ ابن سالم ضبط تعد بالبناء للمفعول في الموضعين وظاهر انها بالبناء للفاعل .

وفيها : عن عدو في ثياب صديق بضم القاف والصواب كسرها .

وفي ص ٥٢ العرانين الاوائل ، والاولى تفسيرها بالسادة والاشراف .

وفي ص ٥٣ وكيف ايجازها وتحبيرها وفسر التحبير بالايذاء والمناسب للمقام وتحبيرها ، من حبر الكلام .

وفي ص ٥٧ في وصف الدنيا والمنزل قلعة والدار قلعة وقد فسر القلعة بالحصن ، والصواب الانقلاع يقال الدنيا دار قلعة بضم فسكون اي انقلاع وتحول وهو المناسب لأول الكلام ، خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل .

وفي ص ٦٢ نظر الفتيق الى الهجان المصعب ، وقال في الذيل والفتيق السمين والهجان البيض ، والصواب الفنيق بالنون وهو الفحل المكرم الذي لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهجان الكرام ، وهو المناسب للبيت وما قبله .

وفيها : اللعين الشنفرى ، والظاهر المنقري .

وفي ص ٦٤ وسلت سخيمات الصدور فعالك الكريم ، والصواب وسل .

وفيها ذيول العصب ضبطت بضم العين وهي بالفتح .

وفي ص ٦٥ تسح ترابه ، والصواب يسح .

وفي ص ٦٦ في وصف سيف .

وتراه معتماً اذا جردته بدم الرجال على الاديم الفاقع

فسر الفاقع بشديد الصفرة وقال معتم جمد الدم عليه ، والصواب ان الفاقع هنا الاحمر يخلط حمرته بياض او الخالص الحمرة .

وفيها : اذا جرته والصواب جردته .

وفي ص ٦٧ مزبد يجري بالزبد والأولى يقذف بالزبد .

وفيها : الرود الجميلة الوافرة الحياء والصواب الشابة الحسنة .

وفيها : الشواجر القواطع او الروابط ، والاولى متداخلة يقال رماح شواجر مختلفة متداخلة

وفي ص ٦٨ مالي رأيت ثراكم بسالة ، والرواية يبساً به وهو المناسب .

وفيها : وابنة الرقم الحية والذؤلول السم ، ولم اجد الذؤلول ، والظاهر انها محرفة عن الدؤلول بالدال المهملة يقال وقعوا في دؤلول اي شدة وامر عظيم وبنت الرقم الداهية ، وفي تفسير الكلمات خطأ وفي تفسير المعنى خطأ آخر يظهر للمتأمل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ٧٢ للباراة والصواب للماراة .

وفيها : المرو الحجارة السود والصواب البيض .

وفي ص ٧٤ ان رأيك اذا احتجب اليه ، والصواب احتجت .

وفي ص ٧٥ ولي نظر لولا التحرج عازم ، وقال في تفسير عازم اي طامع . والرواية عارم اي شديد حاد .

وفيها : فسر المهاة بالظبية ، وهي البقرة الوحشية .

وفي ص ٧٧ او ينأى عنها رفدك ، وسياق القول يدل على ان الاصل ، ولا ينأى .

وفي ص ٧٨ فاطمعني اولك في أخائك ، والصواب فاطمعني .

وفي ص ٧٩ وارمي من وراها ، والصواب من رماها .

وفي ص ٨٨ جذب بضبعه : نوه به ، والأولى انعشه .

وفي ص ٩٠ اذا عم بالسراء عم سرورها ، والصواب اذا مس بدليل الشطر الثاني وان مس بالضراء .

وفي ص ٩١ ورهن المتكلفين والصواب وهن

وفي ص ٩٢ في الف قرن ، والصواب قران

وفي ص ٩٣ تريد تخمير اللفظ وقال : المراد من تخمير اللفظ التروي في تخميره كما تخمر الخمر لتجود ، والصواب تحبير اللفظ كما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين فلاحاجة الى هذا التخمير .

وفي ص ٩٥ ومثله الجؤشوس ، والصواب الجؤشوش .

وفي ص ٩٦ وقال ابو داود ، وقد اعيد في ص ٩٧ والصواب ابو دواد كما في البيان والتبيين .

وفي ص ٩٧ بجميع عدة السن الخطباء ضبط بكسر عدة عين والصواب ضمها .

وفيها : وسعلة بكسر السين والصواب ضمها .

وفي ص ٩٨ تخفص الملتبس والصواب تخلص .

وفي ص ٩٩ مطرطا والصواب مطرحا .

وفيها : افتته ما قرت حياضك والصواب اقتاه .

وفيها : قرت ، اخذت ، والصواب جمعت يقال قرى الماء في الحوض جمعه .

وفيها : فيض العقول ، والرواية صوب العقول .

وفي ص ١٠٣ في وصف النسخ ، ثم تستبرأ باعادة النظر فيها قال ، تستبرأ : يجفف ، والصواب ان يكون من قولهم استبرأ الأمر طلب آخره ليقطع الشبهة عنه ، ولامعنى هنا للتجفف باعادة النظر .

وفي ص ١٠٤ ووصل جوهر معانيه والصواب وفصل كما في المفتاح وغيره .

وفيها : الوذم : الدلو ، والصواب ان الوذم جمع وذمة وهي سير بين اذان الدلو واطراف العراقي .

وفيها : الدخاريص فتحات الازرار ، والصواب ان الدخاريص ما يوصل به البدن ليوسعه وهي البنيقة ولم ار من ذكر انها فتحات الازرار .

وفيها : الدروز : الاطراف الرقاق ولم ار من ذكرها كذلك .

وفي ص ١٠٥ استطلقت طبيعة الغباوة فشفي من سوء التفهم واورث صحة للتوهم ،

وصواب العبارة فاستطلقت طبيعته الغباوة فشفي من سوء التوهم واورث صحة التفهم ·

وفيها : انه لعجيب ان يرى السكاكي ان التفت صنعة ··· واعجب منه ان يحكم الاستاذ المبارك على السكاكي بذلك مع ان هذه الجملة لم ترد في كلام السكاكي كما يظهر ذلك بادنى نظر في كلام السكاكي ·

وارى ان اجتزيء بهذا القدر من الجزء الأول حتى لا يمل القاريء وانا على ثقة ان ما لم اذكره اكثر مما ذكرته وعسى ان اعود الى سرد ما فيه خدمة لهذا الكتاب ·

« الجزء الثاني »

في اول صفحة منه وهي رقم ٣ الكريم لا يحظر ضبطها بضم الياء وكسر الظاء والصواب فتح الياء وضم الظاء ·

وفيها : الفنيق الفحل المائج ، وقد اسلفنا انه الفحل المكرم ، ولم نعلم من اين جاء الاستاذ بالمائج

وفي ص ٤ كالعود المطرى ، ضبطها بفتح الميم وسكون الطاء وكسر الراء ، والصواب المُطَرّى ·

وفيها : الجزور السريع الى اكرام الضيف وهو خطأ فان المراد بجزور في هذا البيت رجل بعينه كان وكيل القاسم بن عبد الله على مطبخه وفيه يقول ابن الرومي الابيات ، كما ذكر ذلك صاحب التاج ·

وفيها : دمع العيان والصواب العيون ·

وفي ص ٥ فاستفزته حمة القرم ، قال في شرحها الحمة ابرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، ومن البين ان الحمة هنا بمعنى الشدة ، اذ لا ابرة للقرم ولا لسع ·

وفي ص ٦ ويتسايل جوذابه مرقاً ، فسره فقال الجوذاب خبز يوضع في التنور ومعه طائر او لحم ، وهذا لا مرق فيه ، وفي القاموس الجوذاب طعام يتخذ من سكر ورز ولحم وقال في التاج في مادة ذبج وقد جاء منها الذوباج مقلوباً عن الجوذاب وهو الطعام الذي يشرح ومنه ما اطيب ذوباج الارز بجآجيء الأوز ، يريد ما اطيب جوذاب الارز بصدور البط ونحو هذا في اللسان ، وليس فيه خبز ·

وفي ص ٨ غبا والصواب غيبا ·

وفي ص ١٠ وضروب النور والصواب وظروف النور ·

وفيها : في يبادق الذهب والصواب بنادق ..

وفي ص ١١ على ابي محذر والصواب محرز ٠

وفي ص ١٤ الخبيرة في موضعين ، والصواب الخبيزة ٠

وفيها : منشد التقريض والصواب القريض ٠

وفي ص ١٧ يندس بكسر الدال والصواب ضمها ٠

وفيها : صفن بكسر الفاء والصواب فتحها ٠

وفيها : ان استوقف قطن وان دعى ابن ، قال ابن قوى والصواب قطن بالقاف وابن ، كلاهما بمعنى اقام ٠

وفي ص ١٨ ام النجوم الشوابك ٠ هي الشمس ٠ وفي التاج واللسان ام النجوم المجرة لانها مجتمع النجوم ٠

وفي ص ٢٠ وصلت اصلت والصواب وصلب صلّب ٠

وفيها : متوحش والصواب متوجس ٠

وفيها : الدقيقتان ٠ صفة للساقين والصواب للاذنين لان التوجس تسمع الصوت الخفي وهذا يكون بالاذنين لا بالساقين ٠

وفي ص ٢١ نبات نمش ملبث ٠ ضبط نمش بفتح الشين وملبب بتشديد الباء الاولى والصواب جر نمش وتنوينها وضبط ملبث بغير تشديد ، يقال الب الدابة فهي ملبب وملب كمكرم ومحب ٠

وفيها : مداوك الصيقل : ادوات كالماون وغيره ٠ وفي كتب اللغة المدوك حجر يسحق به الطيب ٠

وفي ص ٢٢ وغذاره والصواب وعذاره ٠

وفي ص ٢٣ لحصوة العيب والصواب لحوصة

وفيها : القارح الفرس القوي ، والقارح المسن

وفي ص ٢٤ حرة آذانها ، والصواب حشرة اي لطيفة

وفيها : السج السواد ، والصواب خرز أسود

وفي ص ٢٥ اللهوات مجاري الحلق ، واللهاة اللحمة المشرفة على الحلق

وفي ص ٢٦ ويوم كلون العاشقين ، والصواب كليل العاشقين

وفي ص ٢٧ يحضر بضم الياء والصواب فتحها

وفيها : القلت البقرة في رأس الورك ، والذي في التاج والقلت ما بين الترقوة والعنق ، والقلت المطمئن من الخاصرة ، وفيه وفي اللسان ، قلت الفرس ما بين لهواته الى محنكه ، ولعلها محرفة عن النقرة

وفي ص ٢٨ لين المردعين ، ولا معنى لهذا اللفظ والظاهر انه محرف عن المردغتين والمردغة ما بين العنق الى الترقوة

وفيها : لين الفرق ، والظاهر انه العرف

وفي ص ٢٩ الجحفلة من ذوات الاربع هي الشفة من الانسان والصواب كالشفة أو مثل الشفة

وفيها : والشظا عظم لاحق بالذراع ، والصواب لاصق

وفيها : وأحوال عاذرة ، والاولى غادرة

وفي ص ٣٠ تبادره ، بضم الواو والهاء وبه يختل الوزن ، فالصواب إسكان الهاء

وفي ص ٣١ لم شيئاً ، والصواب لم يكن شيئاً

وفيها : وريّ يونس ، والصواب ورؤي

وفي ص ٣٤ سلسلة النظام ، والصواب سلسة

وفيها : يا ابن القرم ضبط بكسر القاف ، والصواب الفتح

وفي ص ٣٥ قال يزيد حوراء ، والصواب ابن حوراء

وفي ص ٣٧ قدمت عتبة بغداد ، والصواب بغداد

وفي ص ٣٨ في سماع ، والصواب في سماح

وفي ص ٤٠ ولا ترد الغربان الا وماؤه ، والصواب ولا ترد الغدران الا وماؤها

وفيها : ويوماً بالاسنة اكبها ، والرواية بالسنور اكبها

وفيها : تردي غواربها العدى ، والرواية تردي عوانقها القنا

وفيها : في بلاميع ، والصواب بلامع جمع بلع

وفيها : حمل اللائمه ، والصواب اللائمة

وفيها : عن الصلة الى القطعية ، والصواب القطيعة

وفي ص ٤١ من القضية الدالة ، والصواب الدمية الدالة

وفيها : الحاجد ، والصواب الجاحد

وفي ص ٤٢ عكف الدهر بهم فثووا • وبه يختل الوزن ، والصواب عليهم

وفيها : الحر تحل الشكر ان اجناه ، والصواب نحل

وفي ص ٤٣ وهي تلفهم ضبطت بفتح الفاء ، والصواب ضمها

وفي ص ٤٤ فحرج ، والصواب نخرج

وفيها : بيض بائقه ، والصواب بنائقه

وفي ص ٤٦ وروى حاضراً ، والصواب وروض حاضر

وفيها : لقد انست سلوّي ، والصواب انست مساوي

وفيها : وما اشتبهت سبيل المجد ، والصواب طريق كا في ديوان ابي تمام ، ولعل أصلها سبيل

وفيها : عابر الانباء ، وفي الديوان عابر الانباء

وفيها : ثنا خبر كان القلب منه يجربه ، وهو خطأ وأصل البيت ثنا خبر كان القلب امسى يجربه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي ص ٤٧ ابن دواد ، والصواب ابن ابي دواد

وفي ص ٤٨ لم يكن فرضه ، والرواية فرصة

وفيها : وليس لقولة ، والصواب لرهبة

وفيها : تهايمي ، والصواب تهائمي

وفي ص ٤٩ على أيدي ، والصواب يدي

وفيها : لعنة الله ، والصواب لعنه

وفي ص ٥١ واما لمختار ، والصواب المختار

وفيها : ابن نهراق ، والاولى مهران

وفي ص ٥٣ ورجع الى العشرة وابناء المودة ، والصواب وآب الى المودة

وفيها : ولا يستحن ، والصواب يستحسن

وفي ص ٥٤ ومتع من عضل الامات كما متع من وأد البنات ، والصواب منع في الموضعين

وفيها : تعالى حده ، والصواب جده

وفي ص٥٥ كمثل هذي ، والصواب كمن فقدنا

وفيها : قال الرومي ، والصواب ابن الرومي

وفيها : فان يجن بعهد ، وفي الديوان فان تبعن

وفي ص٥٦ وشتهم ، والصواب وشتتهم

وفيها : تضرّع ، والصواب ضم الراء

وفي ص٥٩ يهزئون ، والصواب يهزأون

وفي ص٥٩ في عيني اليمن ، والصواب اليمنى

وفيها : ان اللائمة ، والصواب الأئمة

وفيها : من وحشيه ، والصواب وحشية

وفي ص٦١ لا احسبه كما وصف ، والصواب لأحسبه

وفيها : شرمخ ، والصواب شرمخ

وفيها : اذا كنت في القوم الطوال فطلتهم ، والصواب فضلتهم كما في امالي القالي

وفي ص٦٢ ونصيف من الرجال . ولامعنى له ، والظاهر انه محرف عن قضيف وهو الدقيق العظم القليل اللحم

وفيها : دعوا النجاجؤ ، والصواب التخاجؤ

وفيها : يحذى نعام السبت ، والصواب نعال

وفيها : وكنا اذا ماالخائن الجد غره . سنى برق غاد ، والصواب الخائن الجد . سنا برق غاو . كما في كامل المبرد

وفي ص ٦٤ وبالقوادم والخوافي قوة النجاح . والصواب الجناح

وفيها : والجزع على الاموات غناء . والصواب عناء

وفي ص ٦٥ وعلى الصفو من ذريته ، والارلى وعلى الصفوة

وفيها : ومفزع الورى وحسنة العالم . والصواب وجنة العالم

وفي ص ٦٦ في نظام من النهى ونضاح . والصواب ونصاح

وفي ص ٦٧ يلثمه بفمه تفضله والصواب بفضله

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفيها : يتسم المجد بسميته ، والصواب بسيته
وفي ص ٦٨ الذي يد في الفضل والصواب في يد الفضل ·
وفيها : قال في شرح الادحي : الادحي بيض النعام والصواب مبيض النعام ·
وفي ص ٦٩ طبقة المتكمتن · والصواب المتكمين ·
وفي ص ٧٠ ضبط لحاقه بكسر اللام والصواب فتحها ·
وفي ص ٧١ لا يذهب الخبر ماله · والصواب لا يذهب الخمر ·
وفيها : لا ينفذ فيها ماله · والصواب ينفد ·
وفي ص ٧٢ ثقابة المعرفة والظاهر اتقانه المعرفة ·
وفيها : في المهامة · والصواب في المهامه
وفي ص ٧٣ شفاء نفسي منك تخبشة · والصواب تجميشة
وفي ص ٧٤ تمت يمين شمائل · والصواب نمت
وفي ص ٧٦ وديم على السكر خشته · والصواب جشته
وفيها : ونسب لا يخفى · والصواب لا يجفى
وفي ص ٧٧ لم ينس علم ما · والصواب ما علم
وفي ص ٧٨ عشر بنين والصواب عشرة
وفيها : عبيد او موالي · والصواب موال
وفي ص ٨١ رأى السطان · والصواب السلطان
وفي ص ٨٢ وذو عينين بفتح احدهما والصواب احداهما
وفيها : فلا رأي للمحمول الا ركوبها والمعروف فلا يسع المضطر
وفي ص ٨٣ كما تتأبى · والصواب تتأيا
وفيها : اذا عض متنيه الثقاف تأدوا · والصواب تأودا
وفيها اذا ازدت والصواب ازددت

سليم الجندي

مصطلحات علمية

- ٢ -

٣٠ — [Aberration — الكدورة]

٣١ — [Stigmatisme — الرَّشاد]

٣٢ — [Astigmatisme — الَطوْح]

الأشعة الضوئية التي تصدر من نقطة مضيئة واحدة وتتكسر في عدسة بلورية فهي لاتتلاقى في نقطة واحدة ولذا لا يكون خيال النقطة نقطةً صافيةً مثلها وانما يكون بقعة كدرة تزيغ البصر فعبروا عن ذلك بـ (Aberration) بمعنى التيه والضلال لأنه ينشأ من ضلال الأشعة وعدم تلاقيها في نقطة واحدة وحيث ان المراد من التعبير نعت الخيال لا نعت الأشعة فقد ترجمت هذا الحال «بالكدورة» والمراد كدورة الخيال . ثم عبروا عن حالة الآلات التي تستطيع ان تجعل خيال النقطة نقطة مثلها بـ Stigmatisme من Stigmatos اليونانية ومعناها «النقطة» فعبرت عن ذلك «بالرَّشاد» لرشاد الأشعة اذ ذاك بتلاقيها في نقطة واحدة ، واما الآلات التي لاتستطيع ان تجعل خيال النقطة نقطة مثلها (ومنها عين الانسان) فقد عبروا عن حالتها بـ Astigmatisme فالصدر a في هذه الكلمة لفظ يوناني يفيد العدم فترجمتها «بالَطوْح» وهو ضد الرشاد .

٣٣ — [Punctum remotum — نقطة المدى]

٣٤ — [Punctum proximum — نقطة الكثب]

Punctum كلمة لاتينية معناها النقطة و Remotum معناها البعيد فيراد بـ Pumctum remotum أبعد نقطة تستطيع العين ان تراها بلاتعب فترجمتها بـ« نقطة المدى» تقول مدى البصر اي منتهاه وغايته واما proximum فمعناه «القريب» ويعبرون

بـ Punctum proximum عن أقرب نقطة تستطيع العين رؤيتها فترجمتها بـ « نقطة الكثب » .

٣٥ —	[Emmétropie — اعتدال البصر]
٣٦ —	[Myopie — الحسور]
٣٧ —	[Hypermétropie — الطمس]
٣٨ —	[Presbytie — الادرهمام]
٣٩ —	[Astigmatisme — الطوح]

Emmétropie كلمة مركبة من Emmétros اليونانية ومعناها «المطابق للمقياس» ومن ôps اليونانية ايضاً ومعناها النظر فيكون المعنى « النظر المطابق للمقياس » فعبروا بـ Emmétropie عن حالة العين السليمة فترجمتها « باعتدال البصر » و Myopie أصلها Myopia اليونانية وهي مركبة من Myein ومعناها غمّض عينه ومن ôps ومعناها النظر فيريدون بـ Myopie حالة العين التي لا ترى الاشياء البعيدة واضحة بل تكل اذا نظرت اليها فترجمتها «بالحسور» (بالضم) ، يقال حسرت العين (بفتح السين) اذا كلت لبعد الشيء الذي حدقت اليه ، والمصدر حسور لا حسر كما جاء في بعض الكتب لان الحسر مصدر حسر (بالكسر) بمعنى تلهف .

و Hypermétropie مركبة من الصدر Hyper وهو يفيد شيئاً من الإفراط ومن Métron ومعناه المقياس ومن ôps ومعناه النظر كما تقدم فيعبرون بـ Hypermétropie عن حالة العين التي تكل من النظر الى الاشياء القريبة فيضطر صاحبها الى النظر الى تلك الاشياء من بعيد فعبرت عن هذه الحالة بالطمس ، لانه يقال طمس بعينه اذا نظر نظراً بعيداً ، والطمس النظر الى الشيء من بعيد (تاج العروس)

و Presbytie مأخوذة من Presbutès اليونانية ومعناها الشيخ الكبير وقد عبروا بهذه الكلمة عن حالة العين التي ترى الاشياء القريبة كدرة والبعيدة واضحة ولما كانت هذه الاشياء تحدث في الشيوخ سموها بذلك وقد ترجمتها الى العربية بالادرهمام لانه يقال ادرهم فلان اذا كبر سنه ويقال ادرهم بصره اذا أظلم ومن حسن الصدف ان اللفظ العربي يفيد من اللفظ الأعجمي معنييه اللغوي والاصطلاحي .

و Astigmatisme حالة العين التي ترى الخطوط الأفقيـة مشوشة والقائمة واضحة او بالعكس فعبرت عن هذه الحالة بالطوح (بالفتح) (راجع الكلمة رقم ٣٢) .

٤٠ — [Poêle — المصطلى]

٤١ — [Calorifère — المَسْخَن]

٤٢ — [Radiateur — المُشِعَّة]

Poêle هو المعروف عند عامتنا (بالصوبية) المعربة من التركية وقد ترجمته بالمصطلى من اصطلى بالنار اذا استدفأ بها وقد ورد هذا اللفظ في كتب اللغة فاستعماله خير من توليد لفظ جديد .

و Calorifère مركبة من Calor اللاتينية ومعناها الحرارة ومن Ferre اللاتينية ايضاً ومعناها أقلّ ويعبرون بـ Calorifère عما تتولد فيه الحرارة في طريقة التدفئة المسماة بالتدفئة المركزية فترجمت الكلمة المذكورة بالمَسْخَن على صيغة اسم المكان .

ولاجل Radiateur (راجع الكلمة رقم ٢٢) .

٤٣ — [Pendule — النوّاس]

http://Archivebeta.Sakhrit.com

Pendule عبارة عن ثقل معلق يترجح[1] فعبرت عنه بالنواس (بصيغة المبالغة) من ناس الشيء اذا تذبذب متدلياً (لسان العرب)

٤٤ — [Force centripète — القوة الجابذة]

٤٥ — [Force centrifuge — القوة النابذة]

٤٦ — [Centrifugeur — المخاضة]

اذا ربطت حجراً بطرف خيط واخذت في تدوير الخيط كالمقلاع تولد هناك قوتان : قوة تجذب الحجر نحو يدك وقوة تدفعه الى بعد فعبروا عن الاولى بـ Force centripète من Centrum اللاتينية ومعناها المركز و Petere ومعنـاها الكسب فترجمت Force centripète بالقوة الجابذة من جبذ الشيء اذا جذبه لان هذه القوة تجذب الحجر نحو المركز وهو طرف الخيط مما يلي يدك وانما اخترت الجبذ دون الجذب ليكون خاصاً بهذه القوة فالجذب أعم وعبروا عن القوة الثانية بـ Force Centrifuge من Centrum

(١) اي يتذبذب .

اللاتينية وقد تقدم ذكرها و Fugere بمعنى الفرار فترجمت Force centrifuge بالقوة النابذة من نبذ الشيء من يده اذا طرحه ورمى به ٠

و Centrifugeur آلة تستخدم فيها القوة النابذة لاجل سرعة ترسيب ما يكون في المائع مما هو أثقل منه فعبرت عنها بالمخاضة (بالتشديد) ٠

٤٧ — [Mire — المستهدَف]
[Voyant — الشاخص]

Mire عند المهندسين مسطرة طويلة ينصبها أحدهم لينظر اليها الآخر من وراء آلة التسوية فعبرت عن تلك المسطرة بالمستهدَف من استهدف له الشيء انتصب وذلك تخصيصاً بهذا المعنى لان Mire يطلق على غير ذلك ايضاً و Voyant لوح مربع في ظهره حلقة تُدخل في المستهدف فيشد اللوح فيه فترجمت ذلك اللوح بالشاخص ٠

[Balance — الميزان]
[Balance romaine — القبّان]
٤٨ — [Peson — المِرْزان]
٤٩ — [Bascule — القذّاف]
٥٠ — [Dynamomètre — الريمة]
٥١ — [Barorsope — الرائزة]

Balance و Balance romaine معلومان ٠ اما Peson فهو آلة ذات نابض [1] يعلَّق بها ما يراد وزنه فيقدر ثقله على حسب امتداد نابضها به فعبرت عنها بالمِرزان (بالكسر) من رزنه اذا رفعه لينظر ما ثقله واما Bascule وهو ميزان الاثقال فقد ترجمته بالقذّاف (بالتشديد) وهو الميزان وذلك تخصيصاً به ، واما Dynamomètre فاصلها من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ومن Métrons ومعناها المقياس والمراد مقياس القوة فعبرت عنها بالريمة لان الريمة في الأصل حجر تمتحن باشالته القوى ٠

وأما Barorsope فهي مركبة من Baros اليونانية ومعناها الثقل ومن Skopein ومعناها فحَص وقد اصطلحوا بـ Baroscope على آلة تكشف القوة الدافعة التي تقع

(١) نريد بالنابض ماتقول له العامة زنبرك المعرب من الفارسية ٠

من الهواء (أو من أي غاز كان) على الأجسام الغائصة فيه ولما كان المعنى اللغوي من كلمة بارسكوب « فاحص الثقل » ترجمها «بالرائزة» من رازه روزاً اذا رفعه ليعرف ثقله .

٥٢ — [Dialyse — الميز]
٥٣ — [Dialyseur — المائزة]
٥٤ — [Osmose — النتوح]

Dialyse من Dialusis اليونانية ومعناها الانحلال أو الحل ويريدون بها انفصال المواد الكيمياوية بعضها عن بعض وهي منحلة في الماء مثلاً وذلك بان ينفذ بعضها الأغشية ذات المسام والآخر لا ينفذها فترجمت هذه الكلمة بالميز (بالفتح) من مازه ميزاً اذا عزله وفرزه عن غيره وترجمت Dialyseur بالمائزة .

واما Osmose فهي من Osmos اليونانية ومعناها الدفع ويصطلحون بهذه الكلمة على خاصة يتخالط بها المائعان المنفصلان بعضها عن بعض بغشاء ذي مسام بان ينفذ أحدهما أو كلاهما الغشاء ليصل الى الآخر فعبرت عن هذه الخاصة بالنتوح وهو الرشح تقول نتح الماء من الاناء اذا تحلب وخرج من مسامه وقد عبر بعضهم عنها بالحلول على اني لم أجد مناسبة بين معنى الحلول والمعنى المقصود .

٥٥ — [Fontaine avec jet d'eau — النضاخة]

يقول بعضهم للعين الذي ينبع ماؤها من سفل الى علو فوّارة وبعضهم نافورة وغير ذلك مع انه ليس في هذه الألفاظ ما يفيد نبعان الماء من سفل الى علو فأوفق تعبير لها «النضاخة» على ما أرى لانه جاء في معاجم اللغة نضخ الماء ما كان منه من سفل الى علو .

٥٦ — [Casse - noix — البدّاغة]

Casse - noix آلة لكسر الجوز أو اللوز ترجمها بعضهم بالمرضاح أو بالمرضاخ أو الفهر أو مكسر الجوز أو عنفور الجوز مع ان المرضاح الحجر يكسر به الحصى أو النوى والمرضاخ كالمرضاح وزناً ومعنى والفهر الحجر قدر ما يدق به الجوز وليس لاحدى هذه الكلمات معنى يلائم المراد فرأيت أن اترجم Casse - noix بالبدّاغة لانه يقال بدغ الجوز واللوز كسره .

٥٧ — [Diézer — الصدح]
[Bémoliser — الترخيم]
٥٨ — [Si dièze — مي صادح]
٥٩ — [Si bèmole — مي رخيم]
٦٠ — [Harmoniques — مدروجة]
٦١ — [Musical — رنيمي]

من المعلوم في علم الغناء ان ارتفاع الأصوات الغنائية يزداد في تدريج فيكون بين كل صوت والذي أرفع منه فرق في الارتفاع يقال له مسافة وهي اما كبيرة فيقال لها «بردة» واما صغيرة فيقال لها «عربة» وهي تكاد تكون قدر نصف بردة الا انه يضطر المغني أحياناً الى ان يحدث بين صوتين بينهما بردة صوتاً متوسطاً ينفرق عن كل منهما قدر عربة ولاجل الحصول على هذا الصوت اما ان يرفع أغلظ الصوتين قدر عربة واما ان يخفض أرفعهما قدر عربة فيقال للطريقة الاولى Diézer فعبرت عنها بالصدح من صدح صدحاً اذا رفع صوته بغناء والصدح حدة الصوت (المخصص) .

ويقال للطريقة الثانية Bémoliser فعبرت عنها بالترخيم من رخم الصوت لان وسهل فعليه يترجم Si dièze مثلاً بـ (مي صادح) و Si bèmole بـ (مي رخيم) .

واما Armoniques فقد اصطلحوا به على الأصوات الغنائية التي يأخذ ارتفاعها في الازدياد بنسبة كنسبة ازدياد الأعداد من الواحد فصاعداً فعبرت عن هذه الأصوات «بالمدروجة» . وترجمت Musical بالرنيمي .

٦٢ — [Ampoule — الحبابة]

يعبرون بـ Ampoule عن زجاجة صغيرة يحصر فيها الدواء الذي يحقن تحت الجلد فعبرت عنها في العربية بالحبابة (بالفتح) استعارة من حباب الماء وهي نفاخاته التي تعلوه وحبابة تجمع على حباب .

٦٣ — [Chloroqhille — الخضب]
٦٤ — [Hémoglobine — النعانية]

Chlorophille كلمة مركبة من Khloros اليونانية ومعناها «اخضر» ومن

Phullon ومعناها ورق الشجر فيريدون بـ Chlorophille المادة الخضراء التي في الشجر وخصوصاً في ورقه فترجمتها بالخضب (بفتح فسكون) اذ جاء في اللغة « الخضب خضرة الشجر » .

و Hémoglobine مركبة من Haima اليونانية ومعناها الدم ومن Globus اللاتينية ومعناها الكرة ويقصدون بـ Hémoglobine المادة الملوّنة لكريات الدم فعبرت عنها «بالنعمانية» لان النعمان من أسماء الدم والمراد «المادةالنعمانية» .

٦٥ — [Capsule surrénal — الكُظْر]

اذا أردنا ان نترجم التعبير الافرنجي بالحرف لزم ان نقول « الحقة التي فوق الكلية » على اني كنت عثرت في كتب اللغة على لفظ عربي واحد يفيد مدلول هذه الكلمة وهو «الكُظْر» (بضم فسكون) ومعناه الشحم على الكلية وقد كنت نشرت ذلك في مجلة الصحة العمومية التي كانت تصدر في دمشق منذ ١٢ سنة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦٦ — [Volant — المَحَالة]
٦٧ — [Arbre de couche — الجُزْع]
٦٨ — [Tiroir — الجَرور]
٦٩ — [Excentrique — المخرف]
٧٠ — [Courroi — المِجَرّ]
٧١ — [Hélice aérienne — المَحَارة الهوائية]
٧٢ — [Turbine atmosphérique — العنفة الهوائية]

Volant دولاب جسيم يدور على محور المحرّك للماكنة فاستعرت له المحالة (بالفتح) وهي في الأصل الدولاب الكبير أوالبكرة الكبيرة .

و Arbre de couche المحور الذي يدور عليه ذلك الدولاب فترجمته بالجُزع (بالضم وبفتح) وهو في اللغة المحور الذي تدور عليه المحالة .

و Tiroir شيء في ماكنة البخار كعلبة يجر ذهاباً واياباً ليتناوب بذلك ضغط البخار وجهي المكبس فعبرت عن تلك العلبة بالجرور (بالفتح) وهو فعول من الجر .

و Excentrique لوح صغير في ماكنة البخار مستدير او غير مستدير يدور على محور غير مار بوسطه بل منحرف عنه ولذا سميته « بالمنحرف » .

و Hélice آلة تدور في مؤخر الباخرة لتدفعها ومعنى Hélice في الأصل نوع من الأصداف فاستعير الى الآلة المذكورة لشبهها به فعبرت عن هذه الآلة بالمحارة (بالفتح) وهي في الأصل الصدفة أونحوها من العظم ثم استعرتها لما يدور في مقدم الطيارة مع تقييدها بالهوائية كما في أصلها الافرنسي .

و Turbine يراد به دولاب قائم المحور يديره الماء فترجمته بالعَنَنَة (بفتح العين والنون) فقد جاء في اللغة العننة الذي يضربه الماء فيدير الرحى[1] .

و Courroie يطلق في فن المكانيك على رباط من جلد أوغيره يعقد طرفاه ويطوّق به دولابان لينتقل به الدوران من أحدهما الى الآخر تقول له العامة كشاط وترجمه بعضهم بالأسار أو السير أوالبند مع ان في العربية كلمة يمكن تخصيصها بمدلوله وهي المِجَرّ (بكسر الميم وتشديد الراء) فقد جاء في اللغة المجر خيط غليظ يطوّق به الدولاب ليدور بواسطته .

[شفّاف — Transparent]
[شافّ — Translucide] — ٧٣
[الظل — Ombre]
[الشمشاع — Pénombre] — ٧٤

يريدون بـ Transparent ما ترى الأشياء من ورائه باشكالها فهو الشفّاف وبـ Translucide ما ترى الأشياء من ورائه دون ان تدرك أشكالها فترجمه بعضهم بنصف شفاف مع انه لاحاجة الى هـذا التكلف فالأرجح ان يترجم بالشافّ لانه أقل شفوفًا من الاول فيخص به اسم الفاعل وتخص المبالغة بالأول .

واما Ombre فهومعلوم واما Pénombre فيريدون به الظل اللطيف فترجمه أحدهم بشبه الظل وترجمه غيره بالظُّليل (بالتصغير) مع ان عربيته الشمشاع اذ جاء في اللغة الشمشاع الظل غير الكثيف .

(١) تقول له العامة فرّاش .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[الموطئ — Pédal] — ٧٥
[المرقاة — Grade] — ٧٦
[الناشر — Diffusor] — ٧٧
[الرقيم — آرما] — ٧٨

Pédal مايحمل عليه الحائك او شاحذ السكاكين[1] قدمه فترجمه بعضهم بالمداس أوالرجلية أوالدوّاسة الى غير ذلك مع ان المداس الحذاء والدواسة الأنف فأصح مايلائم المعنى على ماأرى « الموطأ أوالموطئ » اذ هو في اللغة موضع القدم .

و Grade من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة فعبرت عنه بالمرقاة .

و Diffusor بوق من الورق المقوى يستعمل في الحاكي (الفنغراف) فعبرت عنه بالناشر .

و «آرما» — وهي تطلق في الشام على اللوح يعلّق على الحانوت أوغيره مكتوباً فيه (أي اللوح) اسم صاحب المحل وصنعته الخ — هي كلمة ايطاليية الأصل استعملها الترك ثم انتقلت الينا . فأرى ان مرادفها العربي «الرقيم» اذ جاء في القرآن الكريم « أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » قال المفسرون المراد بالرقيم لوح رصاص نقش فيه أسماؤهم ونسبهم الخ .

[ناتج — Moment] — ٧٩
[موجِّه — Collimateur] — ٨٠

يعبرون بـ Moment في علم المكانيك عما ينتج من فعل القوة وغيرها فترجمته بالناتج ومن مركباته Moment de la force (ناتج القوة) و M. de l' inertie (ناتج العطالة) و M. du couple (ناتج المزدوجة) الخ فعليه ترجمت Résultante بالحاصلة .

واما Collimateur فهو آلة تدير أشعة الضوء الى جهة من الجهات فعبرت عنها بالموجّه .

[انتشار الضوء — Propagation de la lumière]
[« انعكاس — Reflexisn »]

(١) المعروف عندنا بالمجاّخ .

[انتثار الضوء — Diffusion de la lumière]
[« انكسار » — Réfraction »]
[« انحراف » — Déviation »]
[« تبدد » — Dispersion »]
٨١ — [« كدورة » — Aberration »]
٨٢ — [« انعراج » — Diffraction »]
[« تداخل » — Interfèrance »]
[« استقطاب » — Polarisation »]

كل ذلك مصطلحات تتعلق بخواص الضوء في علم الطبيعة لا يسع المقام شرحها وفي بعضها شيء من التخصيص وانما سنذكر كلمة عن Polarisation فقد جاء عن هذه الكلمة في لاروس مامفاده ان مدلول Polarisation الاصطلاحي ليس فيه معنى القطب اصلاً وقد كان المراد ان تشتق الكلمة من Polein اليونانية ومعناها الدوران لان البلور الذي شوهدت فيه خاصة الضوء هذه لأول مرة كان يدار على نفسه لأجل مشاهدتها ، لكنه قد خطئ في الاشتقاق فجاءت الكلمة على هذا اللفظ اه ثم ترجمها بعض المصريين بالاستقطاب وأخذها الترك عنهم فانتقلت الينا وشاعت حتى صار تغييرها متعذراً ولذا اضطررت الى ابقائها .

٨٣ — [Psychromètre — مقياس الخَصَر]

هو آلة تستعمل في قياس الرطوبة التي في الجو و Psychro كلمة يونانية أصلها Pusukhros ومعناها البرد فترجمت Psychromètre بمقياس الخَصَر (بفتح الخاء والصاد) وهو البرد .

٨٤ — [vaséline — دهن النفط]
٨٥ — [Lanoline — دهن الصوف]

كل من Vaséline و Lanoline مادة دهنية تستعمل في المراهم فالاولى تستخرج من النفط فسميتها بدهن النفط والثانية تستخرج من صوف الغنم فسميتها بدهن الصوف .

٨٦ — [Sillon — الدُّقبة]

يعبر الافرنسيون عن أول مايظهر من الجرب بـ Sillon ومعناه التلم لان الجرب ينبعث عن حشرة دقيقة تنقب بشرة الجلد فتدخل فتمشي تحتها فتحفر تلماً يؤدي الى الحك فترجم بعضهم Sillon بالتلم أو بالأخدود لكن الأصح ان يترجم — بالنظر الى مدلوله هـذا — بالدُّقبة (بالضم) اذ جاء في اللغة النقبة أول مايظهر من الجرب[1] ومما يستدعي النظر في ذلك ان العرب كانوا يفقهون ان الجرب ينشأ من حشرة تنقب الجلد ٠

٨٧ — [Tarlatane — السَّحْل]

[Gaze — الشَّفّ]

٨٨ — [Ouate — السبيخ]

٨٩ — [Hydrophile — نَشِف]

يراد بـ Tarlatane كساء من قطن كثير الخفة واللمان فأرى ان يترجم بالسحل (بفتح فسكون) جاء في المخصص السحل الثوب من القطن وجاء السُّحُل ثياب بيض واحدها سَحْل ٠ و Gaze كساء رقيق يحكي ما تحته عربيته «الشف» (بالفتح وبكسر[2]) فاستعمالها خير من التعريب ٠ و Ouate يراد به في الطب قطن منـدوف معرّض مطبّق بعضه فوق بعض يستعمل في تضميد الجراح فأرى ان يترجم بالسبيخ وهو في اللغة المعرّض من القطن ليوضع عليه الدواء ويوضع فوق جرح ٠و Hydrophile مركبة من Hudôr اليونانية ومعناها الماء ومن Phylos ومعناها المحب فيكون المعنى محب الماء فيقال Coton hydrophile و Gaze hydrophile فعليـه نترجم Hydrophile بالنَّشِف (بفتح فكسر) وهو ماينشُفُ الماء اي يشربه ٠

٩٠ — [Gant de Caoutchouc — الخِتاع]

٩١ — [Doigtier de » — الختيعة]

Gant de caoutchouc قفاز من المطاط — (كَوتشوك) — يلبسه الجرّاح حين العمليات الجراحية فأرى ان يترجم بالختاع (بالكسر) وهو في الأصـل كف من جلد يلبسه البيزار خوفاً على يده من مخالب البازي الواحدة ختاعة ٠ و Doigtier هنـة من

(١) فقه اللغة للثعالبي ٠ (٢) عاميته شاش ٠

المطاط كاصبع القفاز يلبسها الطبيب ليسبر بعض أجواف البدن فيمكن ان تستعار لها كلمة «ختيعة» وهي في الأصل قطعة من ادم يلفها الرامي على اصبعه .

٩٢ — [Chape — الخُطّاف]

من معاني Chape الافرنسية خشبتان أو حديدتان يستند اليهما طرفا محور البكرة أوالميزان أوغيرهما فالكلمة العربية التي تفيد هذا المعنى هي الخُطّاف (كرُمّان) اذجاء في التاج الخطاف حديدة حجناء [1] تكون في جانبي البكرة فيها المحور وفي المخصص الخطاف الذي تجري البكرة فيه . «البحث صلة»

الطبيب
محمد جميل الخاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) أي معوجة

الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

- ٢ -

« من المحاضرة الثانية »

طريقة الكتاب وأسلوبه ٠— كانت طريقة العرب في القصص ان يسردوا الاسمار والاحاديث على نمط يجعل كل حكاية قائمة بذاتها لا يربطها بما يسبقها ولا بما يلحقها علاقة ٠ وترون ذلك واضحاً في أمثال لقمان وكتب النوادر فلما نقلت الأقاصيص الهندية الى العربية في القرن الثالث عن طريق الفارسية ادخلت في ادبنا القصصي طريقة طريفة تجعل الحكايات سلسلة متماسكة الحلقات متعانقة الخطوات متتابعة النسق ، وذلك على ضربين : الأول ان تتعلق جميع الحكايات بحكاية أصلية تكون فاتحة لبدايتها وسبباً لروايتها ابتغاء التعويق عن فعل ما لا يحل ، وذلك في العربية مذهب كتاب الوزراء السبعة وكتاب كليلة ودمنة واغلب كتاب الف ليلة وليلة ، وهو في الفارسية مذهب بختيارنامه وقصة جهار درويش وقصة نوروز شاه وكتاب طوطي نامه وانوار سهيلي مثلاً ٠ والضرب الثاني ان تروى الحكايات موزعة في الكتاب على عدة ابواب بحيث تكون الحكاية في أي باب من هذه الأبواب مقدمة لحكاية الباب الذي يليه ٠ ومن هذا الضرب في أدبنا كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ ، وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لاحمد بن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤ ، في ادب الفرس كتاب مرزبان نامه لمرزبان بن رستم بن شروين ، وقد ترجمه ابن عربشاه واستمد منه ، ذلك فضلاً عن الطريقة الفارسية التي احتذيناها في الاقاصيص الغرامية المطولة ٠ فالف ليلة وليلة إذن يجري على ثلاث طرق : يجري على الطريقة الهندية في الحكايات المتداخلة المتسلسلة

لحكايات الأصل وحكاية البنات الثلاث والصعاليك الثلاثة وحكاية الخياط والاحدب والطبيب وحكاية جان شاه وحكاية وردخان . . . الخ

ويجري على الطريقة الفارسية في الحكايات المفردة المجردة كحكايات العشاق في بعض اقاصيص الأصل وما جرى مجراها من حكايات الطبقة البغدادية فانها مضروبة على قالب القصص الفارسي في الاعتماد على الحب الوهمي الذي يصيب ظرفاء الشباب على اثر طيف يزور في الكرى ، او صورة تعرض في الطريق ، او حكاية تلقى في المجلس . ثم يجري على الطريقة العربية الخالصة في الاقاصيص الصغيرة المقتبسة من كتب الأدب كحكاية حاتم الطائي وحكاية معن بن زائدة وحكاية ابراهيم بن المهدي وحكاية خالد بن عبدالله القسري مثلاً ، اما أسلوبه فيختلف باختلاف الزمان والمكان والجنس والشخص ، فاذا حكمنا عليه فانما نحكم على جملته لا تفصيله ، ونتوخى الصفات العامة في نقده وتحليله ، فهو في عمومه أسلوب سهل المأخذ مطرد السياق ، سوقي اللفظ مبسوط العبارة كثير الفضول كثير التضمين جريء الاشارة لا يعرف الكناية ولا يتقي الحياء ولا يصطنع التحفظ ، لأن سبيله سبيل العامة فهو يسايرهم في نثرهم وفضولهم وسذاجتهم وصراحتهم وبلادتهم ولا يستطيع ان يكون الا كذلك . يتنكر سير الأعرج المفلوج وراء المذهبين الكتابيين اللذين راجا على التعاقب في عهده وهما مذهب ابن العميد في العراق ومذهب القاضي الفاضل في مصر . فهو يسرف في السجع ويكثر من اقتباس الأمثال وتضمين الملح ، ويتظارف أحياناً بذكر مصطلحات النحو على سبيل التشبيه أو التورية كقوله في قصة قمر الزمان الثانية : « باتا على ضم وعناق ، وإعمال حرف الجر باتفاق ، واتصال الصلة بالموصول ، وزوجها كتنوين الإضافة معزول » وهو يغالي في تضمين الابيات في خلال الحكايات ويمعن في ذلك غالباً حتى يمل . وترصيع النثر بالشعر اسلوب لا يألفه الأدب العربي ولا الأدب الفارسي ، وانما هو ميزة من مزايا الأدب الهندي ايضاً . . اقتبسه الفرس ثم نقله كتابهم الينا في منتصف العصر العباسي وروّجه في عهد بني بويه مؤلفو القصص ومنشئو الرسائل والمقامات كابن العميد والصاحب والبديع والخوارزمي ومن ترسم خطاهم أو سار على هداهم . وموضع هذه الاشعار يكون عادة في مواقف السرور والحزن والوصف وثوران العواطف . ولكن القصاص يسيء في الغالب استعمال التضمين فيخطيء مواضع الاشعار ،

او يجهل محل المناسبة ، أو يردد الابيات نفسها في كل موقف . وقد تدفعه السماجة الى الاستطراد الغث فيقول :

وقال الشاعر ايضاً في المعنى ثم يورد ابياتاً لا يصلها بالموضوع سبب كما فعل في مقدمة علي نورالدين ومريم الزنارية مثلا فانه حين وصف البستان لم يترك نوعاً من انواع الفاكهة الا ذكره وروى ما قيل فيه من الشعر حتى استغرق في ذلك خمس صفحات من الكتاب !

ان خير ما يمتاز به اسلوب الف ليلة وليلة هو الوضوح والصدق والصراحة والجاذبية ، فالمعاني تسبق الالفاظ الى الذهن ، والصور تسبق الوصف الى الخاطر ، والشوق يبعث اللذة ويثير الاهتمام ويحرك الانتباه ويربط السامع او القارىء بموضوع القصة . على ان القصاص يعالج التصوير والحوار بدقة وبراعة في كل ما يتصل بأحوال الشعب واخلاق العامة ، فاذا سما الى مقام الملوك والخاصة خانته قدرته وغلبت عليه بيئته وطبيعته ، فيفقد ما يسمى في الفن الكتابي بالصبغة المحلية وهي ان يسند الى الشخص ما يلائم طبيعته وطبقته وبيئته من قول أو فعل . فالأقاصيص الهندية والفارسية تشوبها روح القصاص الاسلامية كحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والحكايات البغدادية تظهر فيها اللهجة المصرية كحكاية ابي الحسن الخليع ، ثم نراه يجري على لسان الخليفة الرشيد ما يأبى عليه جلاله وكماله ان يقوله ويحمله ينفعل ما لا يجوز في العقل ان يفعله ، كأن ينادي وزيره جعفراً بقوله : يا كلب الوزراء ويكلفه في قصة الفتاة المقطعة بالعثور على القاتل في مدى ثلاثة ايام والا شنقه هو واربعين من بني برمك . وكأن يخلع في حكاية علي نورالدين مع انيس الجليس حلة الملك ليرتدي مرقعة بالية قذرة لكريم الصياد فيفيض قملها على اطرافه ، ويسيل قذرها على منكبه وأعطافه ، ولو أن ما كلف به الرشيد من التعب المزري كان لضرورة ملجئة لوجدنا له مساغاً من الفن ولكنه جشمه ما جشمه ليتسنى للخليفة ان يسمع غناء انيس الجليس وهي في قصر من قصوره وفي ضيافة خادم من خدمه ! فهو يدخله في هذا الزي الزري على الحبيبين والبستاني ليقدم اليهم ما معه من السمك فيكلفوه شيه في المطبخ فيشويه ! !

وكثيراً ما تدفع القصاص شهوة الإغراب الى تجاوز المبالغة المعقولة فتفوته من الفن صفة الامكانية وهي ان يلبس القصصي الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة فيقرب ما بينها من الظروف ويمهد لها اسباب الوقوع حتى لا تتنافر مع العقل والعلم والعرف والتقاليد . والامثلة

على هذا العيب مستفيضة في كل قصة . وفي الكتاب طائفة من الحكايات قد استوفت شروط الفن القصصي كلها كقصة الصياد والجني وقصة مزين بغداد ومقدمة حكايات السندباد وقصة علي بن بكار وشمس النهار .

هذا اذا نظرنا الى الاسلوب في جملته وعمومه ، اما اذا تتبعناه باللمح الخاطف في نواحي الكتاب وجدناه فيما بقي من الاقاصيص الهندية والفارسية وما جرى مجراها من الحكايات المحدثة المقلدة بين السذاجة أبله الاشارة لأنها من نوع الخوارق التي تدخل على القلوب الغريرة ، ولا تظفر الا بتصديق العقل البسيط ، فهو جارٍ مع طبيعتها متفق اللون مع صورتها ، وفي الطبقة البغدادية تراه متين العبارة عفيف اللفظ حسن السبك دقيق الوصف كثير السجع تميل الفضول لأنه في الغالب مكتوب يحذى على المثل العليا من قصص الفرس وتاريخ العرب ، وقد يسف في بعض الاقاصيص اسفافاً قبيحاً فيثقل بسخفه على الطبع ويعتدي بضعفه على الذوق ، كما نراه في قصة الخليفة مع النائم اليقظان مثلا ، اما الاسلوب في الطبقة المصرية فهو في قسمها الأول وخاصة الاقاصيص المكتوبة منه اشبه شيء باسلوب الطبقة البغدادية مع اتساع سيف السجع وجرأة على الحشمة ، والغالب عليه التقليد فتارةً يجري على منهاج الطريقة الهندية كما نرى في حكاية وردخان والملك جليعاد وتارةً ينسج على منوال الطريقة الفارسية كفعله في قصة قمر الزمان الثانية وحكاية مسرور وزين المواصف وقد يجرى في مجراه الخاص من التهكم الساخر والمزاح المضحك فيكون رقيقاً كما نراه في قصة الأحدب وخاصة في مزين بغداد ، ولكنه في القسم الثاني وفي سائر القصص الالقائية التي الفها القصاص ليلقوها في السوامر مهلهل النسج عامي اللفظ مرذول المبالغة سيء التلفيق شديد الوطأة على الحياء والمروءة لصدوره عن قصاصين محترفين جهلاء يتملقون فيه شهوات العامة بالافحاش ، ويستفزون فضول الجمهور بالمبالغة ثم يكثر فيه ترداد الجمل المحفوظة الملتزمة فيقال دائماً في وصف القينة العازفة : (فعملت على العود من غرائب الموجود الى ان طرب الحجر الجلمود وصاح العود في الحضرة ياداود) وفي ايثار البعد : « بعدك عن الحبيب اجمل وأحسن . عين لا تنظر وقلب لا يحزن » وفي غرابة الحادثة « لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن يعتبر » وفي وصف الشيخ الفاني « قد ابقى ما ابقى دعركه

الدهر فما استبقى ، كأنه مُمْقَى مُلْقَى ، في خرقة زرقاء تمر بها الارياح غرباً وشرقاً ، كما قال فيه الشاعر :

أرعشني الدهر اي رعش والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت امشي ولست اعيا واليوم اعيا ولست أمشي

وفي وصفه ساحة الحرب ومجالس الأنس ورياض الأرض وأثاث البيت لا يكاد يغير شيئاً من الاسجاع والاوضاع ومقطوعات الشعر .

ذلك باسادتي ما استطعت استشفافه من صور الاساليب الاثرية في الكتاب وسترون حين تعيدون قراءته أن القصاص والمصنفين والمصححين في مصر قد اخضعوه اخضاعاً شديداً للهجاتهم واساليبهم وأمثالهم حتى جعلوا البحث اللغوي الفني من البعد بحيث لاتبلغ اليه وسيلة .

فلسفته ومراميه . — سيداتي وسادتي إن من يطلب من الف ليلة وليلة فلسفة خاصة وفكرة عامة ووجهة مشتركة كان كمن يطلب من كافة الناس عقيدة واحدة وطبيعة ثابتة واغراضاً متفقة ، فهو كما نقلنا من قبل كتاب شعبي يصور الحياة الدنيا كما هي لا كما ينبغي ان تكون ، فاذا رأينا مذاهبه تتناقض ومراميه تتعارض وآراءه تختلف ، فذلك لأن المجتمع الذي يصوره كذلك .

ولم يكن الكتاب نتاج قريحة معلومة ولا نتيجة خطة مرسومة حتى نتلمس في جوانبه الدوافع والنوازع والغاية ان هو الا صدى يتردد خافتاً لعقائد الشرق القديم وعقلياته وعاداته ففي الفلسفة تراه يتأثر بالأفلاطونية الحديثة والأخلاق الاسلامية فيدعو الى القناعة باليسير والعزوف عن الدنيا والاعتدال في اللذة والمبالغة في الحذر والتفويض المطلق للقدر ، فروحه من هذه الجهة تتنافر مع صوره البراقة ووسائله الطامحة وحوادثه المغامرة ، ثم تراه في الاقاصيص الاخرى ولا سيما الحديثة يزين الأنانية ، ويرتضي القسوة ، ويتشوف الى المكاسب الدنيئة ، ويشره الى اللذة الخسيسة ولا يكاد يعتقد بالعواطف الكريمة . . وقد يصور المتاع الحسي واللهو الجموح بما لا يتمثل في الذهن الا على سبيل الخيال كالذي يحكيه عن فتى من ابناء الملوك رسا الى جزيرة كل من فيها من تجار وصناع نساء كأنهن اللؤلؤ المكنون فقضى بينهن في هذا النعيم اياماً اقل ما أصاب فيها من اللذة انه

كان يلقي الشبكة في الماء على سبيل اللهو فتخرج اليه من الاصداف خريدة من بنات الجان كأنها حورية من حور الجنان الخ . . فاذا اختبرناه في السياسة والاجتماع رأيناه ملكياً يقيم في كل مدينة عرشاً وينصب على كل مجمع من الاحياء ملكاً حتى الحيات والحشرات والطيور والوحوش والقردة ، ديمقراطياً يشرك الملك والصعلوك في متاع الحياة ومعالي الانس عائلياً يبني نظام البيت وتأثيل المجد على الزوجة والولد . لذلك تجدونه يستهل معظم اقاصيصه بحنين الوالدين الى النسل ، وفزعهما الى الله أو الى المنجم من داء العقم . وقد يسمو مغزاه الى الفلسفة الاجتماعية العالية ، مثال ذلك حكاية السندباد والحمال . فالحمال يؤوده الحمل الفادح ، وينهكه الحر اللافح ، فيلقي حمله على مصطبة امام بيت من بيوت التجار يتردد اليه النسيم الرطيب ، ويتضوع منه روائح العطر والطيب ، ثم يرى عظمة ذلك التاجر في كثرة خدمه وغلمانه ، ويسمع تغريد البلابل والفواخت في بستانه . ويصغي الى رنين أوتاره وغناء قيانه ، وينشق افاويه الطعام الشهي من صحافه والوانه ، فيرفع طرفه الحائر الى السماء ويقول سبحانك يارب لا اعتراض على حكمك ولا معقب لأمرك ! أين حالي من حال هذا التاجر ؟ ؟ انا مثله وهو مثلي ، ولكن حمله غير حملي ! !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أن أسوأ ما سجله الف ليلة وليلة من ظلم الانسان وجور النظام هو القسوة الجائرة على المرأة ، فان حظها منه منكود وصورتها فيه بشعة ، وكيف تنتظر من كتاب بني على خيانة المرأة ان ينصف المرأة ؟ ان شهرزاد المسكينة انما تسهر جفنها وتكد ذهنها لتقص على الملك شهريار أعجب القصص ابتغاء الحظوة لديه حتى تدرأ القتل عن نفسها والخطر عن بنات جنسها ، ومن الخطل الأليم ان يسند القصاص كل هذه النقائص الى النساء على لسان واحدة منهن في مقام الدفاع عنهن ، وأن يجري على فمها في حضرة الملك تلك الكلمات الجريئة المخزية في وصف بهيمية الرجل ! !

الف ليلة وليلة يصور لنا المرأة في القسم الهندي الفارسي خطالة خائنة تبيع عرض الملك للعبد في قصة شهريار وأخيه ، لجوجة جموحة أنانية في قصة الحمار والثور تصر على ان يبوح لها زوجها بسره ، وهي تعلم ان في افشائه ضياع عمره ، حاقدة كائدة منتقمة في قصة الوزراء السبعة ، قاسية عاتية مرهوبة في حكاية قمر الزمان الاولى ، وهي في بغداد سجينة في قصرها ، مغلوبة على أمرها قد انتبذها زوجها وألقى زمامه في أيدي الجواري

والقيان ، وعلى كلتا الحالتين من حرية ورق نراها وسيلة لذة وغرض شهوة وأداة خدمة ، أما هي في مصر والشام فوجودها عدم ، لا تسمع لها صوتاً في بيت ولا ترى لها أثراً في سوق ، فاذا خرجت من ظلام الستار الى ضوء النهار كانت طاغية جاهلة كزوجة معروف الاسكاف ، أو لصة حيالة كدليلة وبنتها زينب ، أو قوادة مرتادة كأولئك العجائز اللاتي ينقلن الفتنة من مكان الى مكان ويصلن المنكر بين فلانة وفلان .

اما تصوير الكتاب لمظاهر الاجتماع الشرقي في القرون الوسيطة من العادات والاخلاق والمراسم في السوامر والولائم والأعراس والمآتم والأسواق والمحاكم فقد بلغ الغاية من ذلك كله ، الا ان الطبقة المصرية في هذا الباب كما قلنا أصدق وأجمع لان القصاص وهم مصريون تكلموا عن علم ووصفوا عن رؤية ونقلوا عن سماع ، فاذا قرأتم مثلاً حكاية نور الدين وشمس الدين وجدتم المصريين كانوا في حفلة العقد يطلقون البخور ويشربون السكر وينضحون الوجوه بماء الورد ، وفي زفاف العروس ينقطون المواشط والقيان بالقاء النقود في الدف اوالأطار كما تسميه الفلاحة أوالطار كما يسمى الآن في مصر ، وفي جلوتها على المنصة يجلسونها بين صفين من كرائم السيدات في يد كل منهن شمعة موقدة ، ثم يلبسونها حلة بعد حلة في فترة بعد فترة حتى يخلع عليها سبع حلل ، ومع كل سيدة من المدعوات الى الحفل صرة من الثيــاب المعدة لذلك الزفاف يحملها خادم ، فكلما خلعت العروس حلة خلع المدعوات كذلك حلة الى تمام السبع ، ولا تزال هذه العادات باقيــة في بعض البلاد وبعض الأمر في مصر .

واذا قرأتم حكاية علاء الدين ابي الشامات وجدتموهم كانوا يستعملون الحشيش قوة للزوج ويتخذون المحلل خلاصاً من الطلقة الثالثة وهما خلتان شائعتان اليوم في الطبقة الدنيا اقرأوا حكاية معروف الاسكاف تجدوه مثالاً صادقاً لبعض الناس هنــاك في ضعف الارادة وسلامة الصدر وحب الأبهة وتبذير مافي الجيب اتكالاً على الغيب واهتماماً لحق وتجدوا زوجه فاطمة العرة التي فرّ من جبروتها وجفوتها وقسوتها وعنادها الى أقصى مجاهل الارض فتبعته لا يزال لها شبه في الباقيات الطالحات بمصر من عهد الجهالة .

اما الطبقة البغدادية فقد عبث بها القصاص وشالوها بلهجاتهم وعاداتهم ولكنهــا مع ذلك حرية بثقة الباحث اذا استطاع تنقيتها من شوائب البهرج والدخيل .

بقي علينا ان نعرف وجهة كتابنا في الدين ، وليس من العسير على القارئ العادي أن يتبين تلك الوجهة فان في كل صفحة من صفحاته دليلاً على أنه مسلم صادق الايمان قوي العقيدة يأخذ تقاليد الدين صحيحة أو مشوبة مأخذ العامي الواثق المطمئن فلا يبحث ولا يستنبط ولا يطبق حتى في مقام الحكمة والموعظة لا يكاد يذكر حديثاً أو آية وانما يستند في ذلك الى مأثور الشعر ومنثور الحكم ، فـ دينه في الدين إذن أن يدعو اليه ويهتف به ويتعصب له ، لذلك تراه لا يتحدث الا عن المسلمين ، ولا يتخذ أشخاصاً لقصصه حتى الاجنبية منها الا من المسلمين ، فاذا كان احد الجنة أو انساس غير مسلم واضطر الى الحديث عنه انتهى به الى الاسلام أو دبر له عقبى سيئة وذلك نادر ، كما فعل في حكاية مسرور المسيحي وزين المواصف وزوجها اليهوديين ، فالحبيب والحبيبة أسلما فورفت عليهما ظلال النعيم والحب وظل الزوج يهودياً فدفنته امرأته حياً ، والف ليلة وليلة بعد ذلك سني لا يكاد يعرف فرقة أخرى من فرق الاسلام حتى الشيعة وكان لهم على عهده في مصر دولة الفاطميين ، وفي العراق نفوذ البويهيين لم يذكرهم الا في حكاية علاء الدين وهي مكتوبة بمصر على عهد المماليك ، ولقد دل حين تعرض لهم في هذه القصة على جهالة قبيحة أو دعاية سيئة فقد أشار في موضع منها الى ان الروافض كانوا يكتبون اسمي الشيخين على بواطن الأعقاب ، وقال في موضع ثان ان اهل بغداد كانوا يغلقون الأبواب خوفاً من الروافض ان يلقوا الكتب في دجلة ، وقال في موضع ثالث : ان الرشيد سأل الرجل الذي هم باغتياله وهو يلعب الكرة والصولجان فنجاه أصلان بن علاء الدين : أما أنت مسلم ؟ فقال كلا وانما انا رافضي .

مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته . — صنف المنقبون ماعثروا عليه من مخطوطات الف ليلة وليلة فكان ثلاث مجموعات مختلفة : مجموعة أسيوية ومجموعتين مصريتين ، فأما المجموعة الأسيوية وهي أقدمهن فلا تشتمل الا على القسم الاول من الكتاب واحدى نسخها مبتورة ، وأشهرها نسخة كلكوتا وهي تحتوي على مائتي ليلة وقد شرع بطبعها الشيخ اليمني في جزءين بمدينة كلكوتا سنة ١٨١٤ م وأتمها سنة ١٨١٨ م فكانت أول مخطوطة طبعت من هذا الكتاب في الشرق والغرب ثم نسخة (برسلو) وهي التي طبعها الاستاذ (هبكت) في اثني عشر جزءاً ، ظهر الجزء الاول في سنة ١٨٢٥ والأخير سنة ١٨٤٣ ، واما المجموعتان المصريتان فهما أحدث من الاولى وبين نسخها اختلاف شديد في الأسلوب والترتيب والعدد والقصص

ومن هاتين المجموعتين نسخة كلكوتا الثانية التي جمعها وطبعها الاستاذ (ماك نوكتن) في أربعة مجلدات من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٢ ، ثم نسخة بولاق التي طبعتها الحكومة المصرية في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٨٣٥ في مجلدين وهي أكمل النسخ جميعاً وأصحها وعنها صدرت جميع الطبعات في مصر والشام وبومباي ، ونقلت جميع الترجمات الى جميع اللغات ماعدا ترجمة (جلان) : فأما الطبعات فكلهن سواسية في قبح الشكل وسوء النقل وقلة العناية لصدورهن عن أرباب المكاتب وأصحاب المطابع وهؤلاء يبتغون أوفر ربح في أيسر كلفة . على ان أديباً من الآباء اليسوعيين قد طبعه ببيروت طبعاً جميلاً في اربعة مجلدات بعد ان قص من قصصه وانتضب من جمله وهذب من عباراته ، ثم جاء منشئ الهلال فأربى عليه في الحذف والبتر والاختصار وطبعه بمصر في خمسة أجزاء صغار ، وهاتان الطبعتان ولا سيما الاولى أليق الطبعات بأخلاق الفتى وحياء الفتاة ولكنهما لا تنقعان غلة الأديب الباحث .

واما الترجمات فأولها في الوجود ترجمة الاستاذ جلان وهي أنيقة الأسلوب رائعة السبك الا انها غير دقيقة ولا أمينة ولا وافية ، على ان لها اليد الطولى على الكتاب في التعريف به والتنويه باسمه والدلالة على فضله ، طبعت هذه الترجمة بباريس في اثني عشر مجلداً ابتداء من سنة ١٧٠٤ الى سنة ١٧١٧ ونقلت عنها سنة ١٧٠٧ ترجمة انكليزية مختصرة في ستة مجلدات بعنوان الليالي العربية ، وأشهر الترجمات بعد ذلك في السعة والدقة والصدق ترجمة بورتن بالانجليزية وترجمة ماردروس بالفرنسية وترجمة هبكت بالالمانية .

* * *

ذلكم باسادتي ما يحتمله المقام والوقت من تاريخ الف ليلة وليلة ، وانكم لترون من هذا الاجمال فعل القريحة العربية فيه ، ومظهر العقيدة الاسلامية في جميع نواحيه ، وطابع العقلية السامية في أخيلته ومراميه ، حتى أصبح الكتاب عنواناً عريضاً من عناوين آدابنا ، وشاهداً جديداً على الحيوية القاهرة والشخصية الآمرة في آبائنا ، والآ فيما ذا نفسر هذا ؟

لقد خلفوا اليهود على الدين فظهر عربياً رائعاً في رسالة محمد ، وخلفوا اليونان على

العلم فعاد عربياً ساطعاً في فلسفة ابن رشد ، وخلفوا الرومان على الحضارة فبهرت العالم بالعمران والعدل في عصر الرشيد ، وخلفوا الفرس على الأدب فأخضعوا السنتهم وأفئدتهم لأدب القرآن ، وخلفوا الهنود على القصص فأروهم روعة الخيال وقوة الإلهام في الف ليلة وليلة ، وخلفوا الامم العظمى على أكثر الارض فأوشكوا ان يعرّبوا العالم ! فليت شعري أتغيرت الصحراء ، أم فسدت الدماء ، أم ضويت الأنباء ، أم هي ربضة الأسد واستجمامة المتعب واستجماعة الواثب ، ثم استئناف الهجمة الاولى على الموقع الأول في الحياة .

لقد أعقتكم طويلاً وأتعبتكم كثيراً وكدت أخرج من المحاضرة الى الخطابة فعذراً ياسادتي وشكراً .

احمد حسن الزيات
عضو المجمع العلمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صفي الدين الحلي

- ٢ -

صفة شعره . — ونوضح ما أجملناه من وصف شعره بما نقول :

أغراض شعره . — نظم الحلي الشعر في أكثر أغراضه فأجاد في بعضها وقصر في بعض :

(ا) فاما باب الفخر والحماسة الذي صدر به ديوانه فأكثر ماقاله منه في صباه وجرى في أكثره على طبيعة شعر المتقدمين ، فقلل من البديع ، وآثر الجزالة وظهرت فيه صورة البداوة التي شب عليها في بلدته الحلة ، وهي من مدن الاعراب . فمن ذلك قوله من قصيدة يفتخر فيها بانتصاره في الموقعة التي أخذ فيها بثأر خاله :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمن الشوازب كالنعام الجفل ... كسيت جلالاً من غبار القسطل
يبرزن في حلل العجاج عوابساً ... يحملن كل مدرع ومسربل
شبه العرائس تجتلى فكأنها ... في الخدر من ذيل العجاج المسبل
فعلت قوائمهن عند طرادها ... فعل الصوالج في كرات الجندل
فتظل ترقم في الصخور أهلة ... بشبا حوافرها وان لم تنعل
يحملن من آل العريض فوارساً ... كالاسد في أجم الرماح الذبل
تنثال حول مدرع بجنانه ... فكأنه من بأسه في معقل
مازال صدر الدست صدر الرتبة الـ ... علياء صدر الجيش صدر المحفل

وهي طويلة ومثلها قصيدته التي أسلفنا أولها ، ونختار منها الابيات الآتية :

سلي الرماح العوالي عن معالينا ... واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا
وسائلي العرب والاتراك ما فعلت ... في أرض قبر عبيد الله أيدينا
يا يوم وقعة زوراء العراق وقد ... دنّا الاعادي كما كانوا يدينونا

بضمّر ما ربطناها مسوّمة الا لنغزو بها من بات يغزونا
وفتية أن نقل أصغوا مسامعهم لقولنا أو دعوناهم أجابونا
قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة يوماً وان حكموا كانوا موازينا
اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة وان دعوا قالت الايام آمينا
أن الزرازير لما قام قائمها توهمت انها صارت شواهينا
انا لقوم أبت اخلاقنا شرفاً أن نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى ولو رأينا المنايا في أمانينا

(٢) وأما المدح فهو جل صناعته وزعم في مقدمة ديوانه انه كان لا يتكسب به في نشأته ، ثم أعوزته ضرورة الفرار من وطنه الى اتجاع الملوك والتكسب به ، وله مدائح جيدة في الملوك ومدائح نبوية منها بديعيته التي فتحت للشعراء بعده باب نظم البديعيات ؛ فهو أول من نظمها ، وبديعيته التي تعتبر الاولى من هذا النوع واستعمل فيها كل أنواع البديع المعروفة في زمنه عارض بها بردة البوصيري في الوزن والقافية والموضوع ، اذ كانت الغاية في عصره بين المدائح النبوية ، ولانها حوت من أنواع البديع الكثير مع انسجام لفظ وبراعة معنى ، فلم يبلغ شأو البوصيري فيها ، ولكنها أصبحت في الغرض الصناعي الذي وضعت من أجله فاتحة البديعيات ، فعارضه بادئ بدء عز الدين الموصلي ، وزاد عليه تسمية النوع ، ولكنه تكلف لذلك تكلفاً غير يسير ، ثم جاء ابن جابر الهواري الضرير الاندلسي مهاجراً الى الشرق ، ودخل الجزيرة ، ومدح ابن الصالح ملك ماردين بعد وفاة الحلي ، فعارضه بقصيدة بديعية جارى الحلي في عدم التصريح باسم النوع فجاءت بليغة في جملتها ، ثم جاء تقي الدين بن حجة الحموي ونظم بديعيته المشهورة مصرحاً فيها باسم النوع ، ولم تخل من تكلف ، ثم عارضها آخرون لا يحصون الى وقتنا هذا ، ومطلع بديعية الصفي المسماة الكافية البديعية في المدائح النبوية هو :

ان جئت سلعاً فسل عن جيرة العلم واقر السلام على عرب بذي سلم

(٣) وأما المراثي فهو ممن يجيدها ، وكان يعارض في كثير منها مشهورات مراثي المتقدمين ومن ذلك قصيدة يرثيها أخاه عارض بها نونية المعري التي رثى بها أباه والتي أولها :

نمّت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادني الاعبوس من الدجن

فيقول صفي الدين في أول مرثيته وأغار على كثير من معانيها وضمن بعض شطورها :

بكيت دماً لو كان سكب الدما يغني وضاعفت حزني لو شفى كمداً حزني

وأعرضت عن طيب الهناء لانني (نمّت الرضا حتى على ضاحك المزن)

ومن أغرب مراثيه تخميسه لقصيدة ابن زيدون النونية وصرف غزلها الى رثاء ٠ وباب المراثي في ديوانه حافل بالشعر الجيد فراجعه ٠

(٤) الطرديات — وقد كاد يلحق في هذا الباب أبا نواس وابن المعتز وشعره فيها جزل بليغ خال من سفساف البديع ، لان المقام مقام فروسية وتبدّ وإصحار ٠ وقد اقتبس هذه الخلة من بيئته البدوية الاولى ومن خدمته لملوك من الترك والكرد كملوك ماردين وحماة وكان يشهد معهم المصايد ويصف لهم آلات الصيد من أقواس السهام وأقواس البندق وكلاب الصيد وفهوده وشواهينه وبواشقه وصقورته كما يصف المصيد من الكراكي والتم الخ ٠

وله في الطرد مسمطة خماسية من الرجز لا أدري ان كان عارض بها ابن نباتة في طرديته أوهذا الذي عارضه ، غير أن طردية ابن نباتة ، من نوع الرجز المزدوج بشطورين فقط ومطلع طردية صفي الدين هو :

أما ترى الانواء والسحائبا قد أصبحت دموعها سواكبا

فاكتست الارض بها جلاببا فاظهرت أزهارها عجائبا

غرائباً أضحت لنا رغائبا

ومطلع ابن نباتة هو :

أنْمى شذا الروض على فضل السحُبْ واشتملت بالوشي أرداف الكُثُبْ

ما بين نور مسفر اللثام وزهر يضحك في الأكمام

ان كانت الارض لها ذخائر فهي لعمري هذه الأزاهر

قد بسطتها راحةُ الغمائم بسطَ الدنانير على الدراهم

أحسنْ بوجه الزمن الوسيم تعرف فيه نضرة النعيم

وكأنك معي تشعر بان طردية ابن نباتة المصري أرق وأرشق ٠

(٥) الخمريات — وهو في وصفها خليع مستهتر يعترض على تحريمها ، ويؤنب اللائمين في معاقرتها وطالما تاب عنها ثم عاد اليها ، وكثيراً ما جعلها محل النسيب من مدائحه السلطانية كقوله في مطلع مدحه للملك المنصور :

دقَّ شوال سِفي قفا رمضان وأتى الفطر مؤذناً بالتهاني
فجعلنا داعي الصبوح لدينا بدلاً من سحوره والأذان

الى أن قال :

شملتنا من ناصر الدين نعمى نصرتنـا على صروف الزمان

(٦) الغزل — وهو فيه رقيق القول جيد المعنى يبتدئ به المدائح المطولات وينظم فيه المقطعات ، واكثر مايكون غزله بالمذكر ، وبخاصة غلمان الاتراك . وقد يبلغ به الاستهتار أن يعقد موازنة بين الغلمان والجواري ، ولم يكن هذا ديدنه وحده بل كان دأب أدباء زمانه ، ولولم يقارفوا منكره . وكان ذلك كان يعجب ملوك الترك والكرد فيستملحونه ، ويستمعون اليه لمصادفته أهواء من أنفسهم . ومن أرق قوله فيه :

يا ضعيف الجفون أضعفت قلباً كان قبل الهوى قوياً مليا
لا تحاربْ بناظريك فؤادي فضعيفان يغلبان قويا

وقوله :

قبل إن العقيق قد يبطل السحـ ـر بتختيمه بسر حقيقي
فأرى مقلتيك تنفث سحراً وعلى فيك خاتم من عقيق

وقوله :

مازال كحل النوم في ناظري من قبل اعراضك والبين
حتى سرقت الغمض من مقلتي ياسارق الكحل من العين

(٧) الوصف — وهو فيه حسن التخيل بديع التصوير ، فاذا وصف الازهار ومجالس الانس سهل شعره ورقت ديباجته واذا وصف الوحش والفرس وسرى الليـل ونحوه اتى بالمتين والجزل ؛ فمن ذلك قوله في فرس أدهم محجل :

ولقد أروح الى القنيص وأغتدي سِفي متن أدهم كالظلام محجل
رام الصباح من الدجى استنقاذه حسداً فلم يظفر بغير الأرجل

فكأنه صبغ الشبيبة شبابه　　وخط المشيب لجاءه من أسفل

وقوله في وصف عود الطرب :

وعودٍ به عاد السرور لأنه　　حوى اللهو قدماً وهو ريان ناعم

يغرّب في تغريده فكأنه　　يعيد لنا ما لقنته الحمائم

راجع ديوانه في الطرديات والزهريات . ولقد خاض صفي الدين في أغراض أخرى من الشكوى والالغاز والمعاياة فراجعها في ديوانه .

اسلوب شعره . — يغلب علي شعر الحلي الاوصاف الآتية :

(١) سهولة اللفظ وانسجام الاسلوب في جملته . وقد قصد الى ذلك واعتد به في أكثر شعره حتى انه ربما أسفّ الى استعمال الاساليب العامية الصورة . « ونقل عن نفسه في ديوانه أن بعض الادباء سمع شعره فاستحسنه ، وقال لا عيب فيه سوى قلة استعماله للغريب فكتب اليه ابياتاً الخ » ثم اتى بقصيدة ذكر فيها جملة ألفاظ من غريب اللغة من الخماسية الاصول الصعبة المخارج كأن الغرابة عنده بطول الكلمات وصعوبتها ، وكأنه غفل عن أن العرب انما تطيل اللفظ لزيادة المعنى إما في الحسن والقبول ، وإما في القبح والاستفظاع . على أن ما ورد في اللغة من الخماسي لا يعدو خمسين كلمة ، وكذلك تضع العرب الكلمة ذات الحروف الصعبة المخارج لمعنى الفظيع كالعجوز والحجارة والداهية الخ وهاك ابياتاً منها :

انما الحيزبون والدردبيس　　والطخا والنقاخ والعلطبيس

والخرافيج والشقحطب والصقـ　　ـب والعنقفير[1] والعنتريس

والغطاريس والعقنقس والفر　　نق والخربصيص والعيطموس

لغة تنفر المسامع منها　　حين تروى وتشمئز النفوس

وهو احتجاج بارد لا يقصد اليه منتقده ؛ فهل كان غريب مسلم بن الوليد وأبي تمام والمتنبي بل المعري من هذا النوع على أنه — كما قدمنا — اذا قال الشعر في الطرديات أو الفخر والحماسة اتى بالغريب المراد ونسي البديع وتكلفه .

(٢) الاستكثار من استعمال البديع اذ كان من المبتدعين لبعض انواعه وأول من نظم البديعيات وله كتاب في الجناس ومن انواع البديع التي يستعملها في شعره الجناس

(١) ذكر اللفظين المزهر في الاسماء التي جاءت على فنعليل .

والتفهمين ويكثر منه ويجيده وقد ضمن كثيراً من شطور قصائد المتقدمين المشهورة كمعلقة امريء القيس ومقصورة ابن دريد ولامية العرب والاقتباس من القرآن— والمراجعة ،وما لا يستحيل بالانعكاس والتوجيه باصطلاحات العلوم واهمال الحروف واعجامها على أنواع شتى والتصحيف. والسجع في الشعر وهو ممن لا يحفل بالتورية كما قال ابن حجة وصدق في قوله على انه قد وقع له منها بعض المقبول.

معاني شعره .— ليس الحلي من أولي الابتداع في المعاني والغوص على نفائسها وأكثر معانيه مسبوقة أو فطرية ، ولكن الذي جعل له هذه الشهرة الذائعة سترها في أغلب الشعر برقيق اللفظ ودماثة الاسلوب وبقل اختراعه وربما كان منه قوله من قصيدة يمدح بها الصالح :

لولا كم لم يكن في الشعر لي ارب ولا برزت به من خزن تامور
فضيلة نقصت قدري زيادتها كالاسم زادت به ياء لتصغير

وقوله منها يصف صب الخمر :

وللاباريق عند المزج جلجلة كنطق مرتبك الالفاظ مذعور
كأنها وهي في الاكواب ساكبة طير تزق فراخا بالمناقير

وقوله في تأخر منزلته :

كأنني من رقوم الهند أوجب لي علو مرتبتي افراط تاخيري

(باعتبار أن كتابة الارقام ككتابة الحروف العربية من اليمين الى الشمال كالنطق بها)

عيوب شعره .—

(١) منها تكلفه لدرجة المقت والبرد إيثاراً لصناعة البديع من امثال التجنيس والقلب والاهمال والاعجام ونحو ذلك.

(٢) كقوله في ممدوح :

مهذب مجبب مجرب للجتني والمجتلي والمجتدي
فقوله وطوله وطوله للمقتني والمعتفي والمعتدي

وقوله في قصيدة كل اسمائها مصغرة :

وذباك الأُويمع في الضُحيا وُجَيهك أم قُمير في سُعيد

(٣) وتوع كثير من اللحن لغة ونحواً في شعره مثل قوله من قصيدة منصوبة الروي بصف الدروع :

مروا بها خزر العيون فأوجست   جزعاً وكادت بالكماة تميدا

وقوله وقد استعمل همزة القطع موصولة ولا يجوز ذلك حتى في الضرورة :

وابلغ الرملة الانيقة (وابلغ)   معشراً لي بربعها وأهيلا
كنت جلداً فلم يدع بينكم لا   جسم حولاً ولا لقلبي حيلا

(٤) فساد معانيه واستعاراته وتشبيهاته في كثير من المواضع كقوله في تشبيه خمسة بخمسة فجمع البدر والهلال في آن واحد في وصف فارس يلعب بالصولجان :

ملك يروض فوق طرف قارح   كرة بجوكان حكاه ضرابا
فكأن بدراً في سماء راكباً   برقاً يزحزح بالهلال شهابا

القاهرة :   احمد الاسكندري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فن الجاحظ (1)

—(1)—

قد تحتق طائفة من مذاهب الجاحظ في العلم أو قد تبلى جملة من آرائه في الفلسفة فالعلم لم يثبت على حالٍ من الأحوال والفلسفة لم تجمد على شكل من الأشكال فهما عرضة للتغيير في كل عصرٍ من العصور فلكل زمنٍ معتقداته وآراؤه ولكن الجاحظ إن لم يخلده علمه أو فلسفته خلده فنه ولغته ٠—

لقد قضيت أياماً وأنا أفكر في فن الجاحظ كيف أشرع في الكلام على هذا الفن وكيف أفرغ من هذا الكلام واشتدت حيرتي بما طالعت طائفة من كتب الإفرنجة ورأيت كيف يبحثون عن فن شعرائهم أو كتابهم أو خطبائهم وأظن انه سيمضي على أدبنا حين من الدهر قبل أن نصل الى ما وصلوا اليه في هذا الباب ٠—

ان لم أسلوباً في البحث عن الفن لم يعهده أدبنا بعدُ فلا يكتفون بالاشارة الى جزالة الكلام أو الى رقته أو الى محاسن التشبيهات والكنايات وغير هذا من الصور ولكنهم يعرضون لألفاظ الكاتب فيبحثون عن هذه الألفاظ بحثاً مستفيضاً من حيث دلالتها على المعنى من طريق الحقيقة أو من طريق المجاز أو من حيث رنات هذه الألفاظ أو من حيث دلالتها على لونٍ من الألوان أو على صوت من الأصوات أومن حيث انها مجردة أومحسوسة الى غير هذا من دقائق البحث ثم يبحثون عن النعت والمنعوت ثم يبحثون عن الفعل الى اشباه هذه المباحث التي لا أجد لها في أدبنا نظيراً ٠—

قضيت أياماً وأنا أفكر كيف أشرع في الكلام على فن الجاحظ وخاصة بعد أن

(1) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة 1931 ٠

تراءى لي تقصيرنا في هذا المجـال وقلت في نفسي : وما أنت قائل في هذا المعنى و كيف أنت داخل هذا البـاب أم كيف أنت خارج منه وخاصة فانه أجل أبواب الجاحظ التي تدل على خلوده في الأدب ٠—

أحبّ الجاحظ الحياة حبًا جمًا فصوّر كل معرض من معارضها ولوّن كل صورة من هذه الصور بحقائق ألوانهـا فكان إفصاحه عن شعوره بالحياة خالصًا من كل تصنّع فألبس كل معرض من المعارض ضربًا من اللباس وجعل لكل صورة من الصور نوعًا من الخطوط والألوان جريًا على قاعدته الغالبة : لكل مقام مقال ٠—

ومن ولعه بهذه القاعدة وحرصه على أصولها تعلّق الجاحظ بحرية الصيغ ومرونتها فهو يتوخى الأساليب التي يخاطب بها الناس على مقادير عقولهم فمرة يخاطب بلغـة العقل ومرة بلغة الحواس وهذا كله دليل على حرية عبقريته وحرية فنه ٠—

لقد عرفتم كيف كانت حياة الجاحظ العقليـة ووقفتم على نشاط فكره وعلى رغبته في التطلع ورأيتم كيف يميل الى ذوق الأفكار والى تمحيصها و كيف يسلك الى التمحيص مسالك شتى ، مرة يستظهر بعقله ومرة بالتجربة والعيـان ، فكل همه مصروف الى معرفة الحق وقد دفعه شغفه بهذه المعرفة الى اجتناب كل كلفة وكل صبغة شعرية في علمه مما يبعد الاشياء عن حقائقها ٠—

فلذلك كان فنه في أبواب العلم والفلسفة مبنيًا على العقل وحدَه فهو في هذه الأبواب قليل الاستعارات قريب العبـارات منقاد لعُريان الكلام يستعمله نفور من معتاصه يهمله على نحو ماقاله فيه البديع في مقامته الجاحظية لانه في العلم والفلسفة يخـاطب العقل وحده ولغة العقل مجرَّدة والتجريد من خصائصها فالجاحظ قليل الصور في علمه وفلسفته حتى اذا اضطر الى تشبيه في أثناء كلام له على بعض الحيوان قرّب تشبيهاته ولم يغلُ فيهـا بحيث تكون على مقربة من حواسنا تدركها هذه الحواس دون شيء من النصب والكلفة ٠

من هذا الشكل تشبيهه الذر بالخيط الأسود أمد ده قال[1] :

« فلا يلبث ذلك الانسـان أن يراها قد أقبلت ومثلها كالخيط الأسود الممدود ٠— »

فانظروا الى هذه الصورة المحسوسة فانه لم يغلُ في المشبه به ولا في لونه ولا في هيأته

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٣ ٠

فالخيط والسواد والمدّ كل هذا من الصور التي تراها العين لأول وهلة .—

ولو عرضنا طائفة من تشبيهاته لوجدناها بمجامعها على هذا النمط واليكم بعض الامثال :

البعوضة مع صغر جسمها تفسخ الانسان في أسرع من الإشارة باليد — والحية تسقط أسرع من اللمح — والشعر الذي يكون تحت حنك الكلب كأنه طاقة — وساقا الكلب كأنهما خشبة من صلابتهما — والحية انتصبت كأنها رمح من كوز أوعود ثابت — والحصى كأن السيوف تلمع في لونه وكأنه مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة وكأنه جمّارة رطبة وكأنه قضيب فضة قد مسه ذهب وكأن في وجناته الورد .—

واذا أحب في غير أبواب العلم أن يبرز بعض صفات في معارض مؤثرة لجأ الى تشبيه الموصوف بأشخاص معروفين مشهورين حتى يكون المشبه به على مقربة منا كوصفه أحد البخلاء [1] :

« وكان يستعمل على خُوانه من الخدع والمكائد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن زهير والمهلّب بن ابي صُفْرة وخازم بن أبي خزيمة وهرثمة بن أعين وكان عنده فيه من الاحتيال مالا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبة .— »

انه لا ينزع في تشبيهاته الا الى ما يقرب من طريقته التي لجأ اليها كل حياته في كل مذهب من مذاهبه وما هذه الطريقة الا الطريقة الحسية حتى انه كثيراً ما يشبه بحاسة من الحواس كاليد أو كاللمح فكل صوره محسوسة .—

لم يكن قدّه في العلم والفلسفة الا فن الفلاسفة والعلماء الذين ينصرفون الى حلّ الأفكار والتنقيب عن صيغ العالم فهم لا يلتمسون من الالفاظ الا دلالتها على الافكار دلالة وجيزة فالجاحظ يجرد كلامه من العناصر التي تجعل للكلام خصائص فنية فهو لا يجعل للصور مقاماً في كلامه وانما المقام للعقل وللتمييز فكل تنميقه صحة البيان .—

ان فن الجاحظ العلمي انما هو فن الرجل الذي يخاطب العقل وأسلوبه فيّاض بالمعنى وبالمادة فهو يقذف بأفكاره كما هبطت عليه فكأن كتاب الحيوان ضرب من احاديث في العلم والفلسفة ولكنها أحاديث يؤديها عقل رجل فنان ، خفيف الروح فكأن الجاحظ

(١) كتاب البخلاء ص ٨١ .

في هذا الكتاب رجل مكسال فهو يخاف روح الترتيب فلا يريد الا الحديث من دون أن يستفرغ جهده في الترتيب حتى يكاد القارئ يضيع في كثرة الاستطرادات وتعاظل الموضوعات وكما انه لم يتعب في قذف أفكاره فكذلك لم يتعب في قذف ألفاظه فألفاظه تنفجر من ينبوع لغته التي لا تنضب كما تنفجر أفكاره من ينبوع عقله الذي لا ينشف .

ولهذا الميل المستحكم فيه وأعني به الميل الى الصيغ العقلية كان شعر الجاحظ بعيداً عن أن يكون ضرباً من الشعر فالجاحظ على نحو ما قاله فيه البديع في أحد شقي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، فمن شعره قوله :

يطيب العيش أن تلقى حليماً غذاه العلم والرأي المصيب
ليكشف عنك حيرة كل ريب وفضل العلم يعرفه الأريب

فاذا دققتم في ألفاظ هذين البيتين كالعلم والرأي والحيرة والريب تبين لكم انها ألفاظ مجردة والشعر لا يعرض علينا الأفكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الأفكار المحسوسة حتى تكاد تدرك الأفكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فالشعر غرضه أن يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة[1] وفن الجاحظ ممزوج بهذا الاصطلاح العلمي والاستدلال الفلسفي فما أبعده عن أفق الشعر واذا مال في شعره الى شيء من التصوير كالتشبيه بوشي البرود وما شاكله فلا نجد في تصاويره نوعاً من الابداع وانما يصب فيها على قوالب محفوظة ويذهب فيها مذاهب مألوفة .

غير أن الجاحظ لم يحبس نفسه على مذاهب العلم والفلسفة فقد أحب الحياة كما قلت لكم وصوّر كل مشهد من مشاهدها وانما جعل لكل صورة خصائصها فاذا أعطى الفلسفة والعلم مقاديرهما من الفن فهل قصّر عن إعطاء غيرهما من معارض الحياة ما يستحقه من لوازم الفن ؟

اذا جاوزنا أفق العلم والفلسفة الذي جال فيه الجاحظ كل مجال وبنى فنه فيه على أصول العقل وجدنا أن فن الجاحظ قد دخل في طور آخر .

(١) راجع كتابي : المتنبي — سحر العبقرية .

هل كان الجاحظ مصوّراً ؟ —

يقولون : المصوّر يبحث عن الالفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة دون المجاز المصوّر يبحث عن الألفاظ المحلية والألفاظ الفنية وعن صحة النعت . —

فلنعمد الى صورةٍ من صور الجاحظ ، كصورة قاضي البصرة عبد الله بن سوار ، قال الجاحظ[1] :

كان لنا بالبصرة قاضٍ يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ذميماً ولا رزيناً ولاوقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلايزال منتصباً لايتحرك له عضو ولا يلتفت ولايحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلايزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلايزال كذلك حتى يقوم الى العصر ثم يرجع لمجلسه فلايزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف ، فالحق يقال لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة الى الوضوء ولااحتاج اليه ولا شرب ماء ولاغيره من الشراب كذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها و كان مع ذلك لايحرك يده ولايشير برأسه وليس الا ان يتكلم فيبنا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفي السماطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول الى مؤق عينيه فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب باصبعه فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد الى مكان لايحتمل التغافل أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى أن يوالي بين الأطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد الى مؤقه باشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك فكان احتماله وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وألح في فتح العين وفي تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١٠٦ .

حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى إستفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه بيده ففعل وعيون القوم اليه ترمقه وكأنهم لا يريدونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه ثم ألجأه الى انذب عن وجهه بطرف كمه ثم ألجأه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عزّ وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت اني عند نفسي من أضعف الناس فقدغلبني وفضحني أضعف خلقه ، ثم تلا قوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . وكان بين اللسان قليل فضول الكلام وكان مهيباً في أصحابه وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه للمنالة .— »

فلنرجع بعد ان قرأنا هذا الوصف الى كل دقيقة من دقائقه .—

للصورة في عصرنا هذا شروط خاصة فمن خصائص الصورة أن يفصّل المصوّر على وجه عام هيأة الموصوف كالكلام على قامته وعلى لونه وعلى عينيه وعلى شعره وعلى أسنانه وما شابه ذلك فيتكلم على محاسن هذه الهيأة أو على مساويها فاذا فرغ من هذا كله تكلم على خصائص عقله فوصف محامد هذا العقل أو مقابحه ما بطن منها وماظهر فاذا فرغ من هذا تكلم على قلبه فوصف مختلف عواطفه وأهوائه .—

ليس في هذا الرسم شيء من المصاعب وانما المصاعب ان يفصح الواصف عن كل شكل من الأشكال بلهجة من الكلام خاصة تباغت القارئ فتسليه وتسره .—

أهمل الجاحظ الكلام على هيأة القاضي فلم يصف لنا شيئاً من قامته أو لونه أو عينيه أو شعره أو غير ذلك من ظواهره ولكنه لم يهمل الكلام على جلسته ، كيف يجلس هذا القاضي :

« يأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه الخ ... »

قلت لكم : المصوّر يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة لا من طريق المجاز فاذا دققتم في هذه الألفاظ التي لجأ اليها الجاحظ وجدتم انها بعيدة عن المجاز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما اضطر الى تشبيه هذا القاضي في وقار جلسته رجع الى عادته في التشبيهات المحسوسة فشبهه ببناء مبني وبصخرة منصوبة فلم يغلُ في هذا التشبيه وانما كانت الصورة على مقربة من حواسّنا فهي مثل قوله : كالخيط الأسود الممدود ٠—

فالجاحظ في تصويره يعمد الى الألفاظ التي تفصح عن المعاني من طريق الحقيقة واذا لجأ الى المجاز وقليلاً ما يلجأ فانه يقرّب ولا يبعّد ٠—

وكما يبحث المصوّر عن هذا الضرب من الألفاظ فكذلك يبحث عن الألفاظ الفنية فلما قال الجاحظ : ثم ربما عاد الى محلّه بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ، لما قال الجاحظ هذا القول استعان بالألفاظ الفنية ، ما هي هذه الألفاظ : العهود والشروط والوثائق ، هذه هي مصطلحات القضاة ٠—

وكما لم يهمل الجاحظ الكلام على جلسة القاضي فكذلك لم يهمل الكلام على محاسن صفاته ، في ثلاث كلمات وصف هذه المحاسن فقال : لم يرَ الناس حاكماً قط ذمياً ولا ركيناً ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ٠—

وبعد أن فرغ من الكلام على صفات عقله تكلم على بعض صفات قلبه : ما هي هذه الصفات : الشعور الديني البارز في صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء في أوقاتها ٠—

لا شك في ان الجاحظ لم يطل الكلام على هذه الصفات كلها وانما وصف منها ما له متعلق برجل قاض ، قد لا يكون للصورة في عصر الجاحظ القواعد التي لها في عصرنا ولكن الجاحظ لم يغفل عن الكلام على الأشكال بلهجة تبلغت فتسلي وتسر ، فمن هذه التسلية ومن هذه المسرة : سقوط الذباب على أنف القاضي وإطالته المكث وتحوله الى مؤق عينيه والمباغتة فيهما صبر القاضي على عضه وعلى نفاذ خرطومه من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب باصبعه ،

ومن هذه التسلية ومن هذه المسرّة إطباق القاضي جفنه الأعلى على جفنه الأسفل وموالاته بين الإطباق والفتح وتحريكه أجفانه وزيادته في شدة الحركة والمباغتة فيها ذب القاضي عن عينيه بيده وبطرف كمه ٠—

فالجاحظ مصوّر من أكبر المصوّرين وتكاد تكون قصة القاضي عبد الله بن سوار

مثال التصوير في أدبنا فقد جرّ الجاحظ الى هذا القاضي انتباه القارئ فلبث انتباهه هذا في مختلف أوضاعه وولّد عن هذه الأوضاع أفكاراً وألف بين هذه الأفكار فالصورة لم تكن حلاً مجرّداً وانما هي رسم حقيقي ، انما هي معرض من معارض الحياة ليس فيها شيء من اوصاف العقل أو العاطفة مما لا تقع عليه عين وانما فيها وصف شيء تراه العين فهي صورة واضحة قوية صوّر فيها وضع من الأوضاع في مختلف حالاته .—

لا شك في انكم قد لا حظتم انّ من أســاليب الجاحظ في هذه القطعة الترديد فمن ترديده قوله : فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ... فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر ... فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ...

والترديد وسيلة من وسائل الفن فان الكلمة المردّدة توضّح الفكر أحسن توضيح فتوحي المعنى الى الذهن وتستثير هذا الذهن فان اللفظة اذا ردّدت كان لترديد جرسها تأثير في تثبيت العناصر في الذهن .—

وكثيراً ما يلجأ الى هذا الباب فرّة يردد النعت ذاته كقوله في قصة محمد بن أبي المؤمل في البخلاء :

« ولم يكن أكله الا على قدر أكله اذا أتى بذلك في طبق نظيف مع خادم نظيف عليه منديل نظيف . »

ومرّة يردّد الفعل كقوله في وصف سحابة[1] :

« فاذا سحابة ضحيــاء تـكاد تمس الأرض وتـكاد تمس قم رؤوسهم ... ثم قوله : ثم انها دفعت باشد مطر ... ثم اندفعت بالضفادع العظام ... ثم اندفعت بالشبابيط . »

أو قوله[2] :

« ومن العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله ويصيد الثعلب القنفذ فيأكله ويريغ القنفذ الأفعى فيأكلها ... »

فكرّر كلمة : تأكله ثماني مرات في خمسة سطور وما يقال في الترديد يقال في لجوء الجاحظ الى استعمال اللفظ وضده إظهاراً للمعنى فالغاية التي يؤدي اليها ترديد النعت أو

(١) كتاب الحيوان — الجزء الاول ص ٦٨

(٢) 〃 〃 〃 السادس ص ١٠٢

الفعل أو الاسم انما هي شبه الغاية التي يؤدي اليها استعمال اللفظ وضده فكل هذه الوسائل انما المقصد منها تثبيت الفكر في الذهن .—

هذه عناصر يسيرة يتركب منها بنـاء الجاحظ ، أما جملة البناء فان لها أشكالاً شتى .

مرةً تموج عبارته فتنبسط ثم تمتد حتى تغيب عن النظر فلا يقف بك كلامه الا بعد شيءٍ من التعب ونماذج هذه العبارة كثيرة منها قوله في وصف الكتاب[١] :

وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى أثره ولولا ما أودعت لنا الاوائل في كتبها وخلّدت من عجيب حكمتها ودوّنت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ماغاب وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا مالم نكن ندركه الأ بهم لما حسن حظنا من الحكمة ولضعف سببنا الى المعرفة .— »

ومرةً يقطعها تقطيعاً كأنها ألحان موسيقى كل لحن له رنته[٢] :

« اللهم انّا نعوذ من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العي والحصر .— »

فيأخذ كلامه في مثل هذا التقطيع نصيبه من الراحة ويمهّد للقاريء مثل هذا النصيب :

ومرةً يرسل الكلام إرسالاً لا يبالي بتموجه وتقطعه ، من هذا القبيل كلامه في البخلاء وفي كثير من كتاب الحيوان .—

من كل ماتقدم يتبين لكم أن الصور التي يعرضها علينا الجاحظ قليلة وهي صور قريبة لاتتعب الحواسُّ في إدراكها وانما الجاحظ اذا أراد أن يصبغ فنه عمد الى صباغ من غير الجنس الذي نعهده فهو يحيي فنه وينفخ فيـه روحاً بلجوئه الى توضيح حقائق التفاصيل انه يصوّر الأفكار بريشة الحوادث نفسها فيختار لها أحوالاً وخصائص ترينا هذه الأفكار فاذا أردتم أن تعرفوا نموذجاً من هذا الفن فارجعوا الى كلامه على ذرء الحمام وطلبه الولد[٣] .

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص٤٢ .

(٢) مقدمة البيان والتبيين .

(٣) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ٤٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس في هذا الكلام شيء من الصور وانما فن الجاحظ فيه تصوير الأفكار ذاتها بتفصيل دقائقها وأكثر كلام الجاحظ على هذا النمط ٠—

واذا شاء الباحث ان يستوفي خصائص فن الجاحظ أوشك أن ينقطع به الكلام وأظن ان في هذا القدر إشارة الى فنه بقي علينا أن نعرف كيف عالج الجاحظ لغة هذا الفن وكيف زاولها ٠—

دمشق : في ١٤ أيار سنة ١٩٣٢ شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وافكار

—(١)—

اصل بناء حلب الشهباء

لقد اضطرب قول المؤرخين في أصل بناء مدينة حلب الشهباء ، وقد خبطوا في الامر خبط عشواء ، فمنهم من جعلها من بناء ابراهيم الخليل ، ومنهم من جعلها من بناء العالقيين وآخرون جعلوها من بناء الحثيين أو الروطانوس ، الذين تشهد الكتابات الهيروغليفية بانهم كانوا يسكنون سورية الشمالية ، وهم من ذرية (لود) وقد ملكوا سورية قروناً طوالاً ، ولم يقوض سرادق ملكهم الا الحثيون الذين دفعوا لهم الجزية ، وهناك قوم عزوا بناءها الى بلكورس أو بلوكوسكس ملك الموصل ، الذي ملك في القرن الخامس عشر قبل المسيح فبناها ودعاها بهذا الاسم ، على شرف حلب بن مهر بن خاب الذي كان متسلطاً على قنسرين .

على ان علائق الشهباء مع الحثيين هي بينة فان أقدم عصر ذُكرت فيه هو القرن العشرون قبل المسيح ، أما تاريخ تأسيسها واسم بانيها ، فهذا ما استسر علمه على المؤرخين ، ولكن الاب (دورم) العلامة الاثري الشهير نشر في مجلة سورية العلمية سنة ١٩٢٥ خلاصة مابلغ اليه في هذا الشأن فقال : لم يعلم الباحثون شيئاً يذكر من تاريخ حلب القديم ، حتى هذه الأعوام الاخيرة . ولكن الكتابات الهيروغليفية تذكر حيناً بعد آخر مدينة حلب في النصوص المتعلقة بامينوفيس الثاني أو رعمسيس الثاني في عهد الدولة السابعة عشرة أو التاسعة عشرة ، فالوثائق التاريخية المصرية لاتدل على وجود مدينة حلب قبل القرن الخامس عشر قبل المسيح . اما الكتابات المسمارية فانها لاتبدأ بذكر اسمها الا في عهد (سلما ناصر) الثاني الذي ملك من سنة ٨٥٩ حتى سنة ٨٢٤ وهي تدعوها (Halman)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أوحلوان — كذلك الكتاب المقدس فان مدينة « حلبون » المذكورة فيه ليست سوى قصبة « حلبون » التي تقع على ثلاث ساعات من دمشق ، وهي عاصمة بلاد الحلبونيين التي اشتهرت بخمرها الجيد . أما المؤرخون اليونانيون والرومان فانهم كانوا يدعونها « بيروه » وكذلك الملك سلوقوس نيكاتور كان يسميها بهــذا الاسم ، وقد تلا تلوهم المؤرخ اليهودي « يوسيفوس » .

فلاريب إذن في وجود مدينة حلب منذ القرون الاولى لتاريخ بلاد سورية ، وكانت تعقد المعاهدات التاريخية مع ملك الحثيين وكان الشعبان كفرسي رهان ، وان سجلات « حاتوزا » الملكية تتضمن ماجل ودق من تاريخ مملكة حلب وماطرأ عليها من الكوارث والتقلبات منذ عهد حاتوزيليس الاول الذي حكم في القرن العشرين قبل المسيح فلم تبق شبهة في ان مدينة حلب قد ذُكرت لأول مرة في التاريخ في القرن العشرين قبل الميلاد .

ولكن ماهي ياترى تلك الكوارث والتقلبات التي تسردها سجلات حاتوزا الملكية ، وكيف يبتدئ تاريخ مدينة حلب ؟ تمكن معرفة هذا من الكتابة المذكورة التي صُورت بأحرف بابلية .

وكان ملك حلب في ذاك العهد (١٣٣٦ قبل المسيح) « ريبشرهاما » وملك الحثيين « مورشيليشو » الثاني عم ريبشرهاما . اما الكتابة فليست سوى نص معاهدة وُقعت بين الملكين المتحاربين ، وليس لدينا سوى نسخة منها نُقلت بأمر « موفاتاليش » بن « مورشيليش » وقد فقدت النسخة الاصلية . وقد جاء في تلك المعاهدة ما نصه :

« كان لملوك بلاد مدينــة حلب (Halaap) قديماً السلطان على مملكة عظيمة وكان حاتوزيليس الملك الكبير ، ملك بلاد مدينة حاطي قد جعل تلك المملكة تزحم منكب الجوزاء وتعلو جنــاح النسر » وفيها ايضاً بعد بضع عبارات : « بعد حاتوزيليس ملك بلاد مدينة حاطي هدم مورشيليش الملك الكبير حفيد حاتوزيليس الملك الكبير مملكة بلاد مدينة حلب (Halaap) وبلاد مدينة حلب » .

ونقرأ في وصية تليبينوش السياسية (قرب سنة ١٧٧٥ قبل المسيح) ، ان مورشيليش قد أتى الى مدينة الحاتوزيين بمجوفي « حالابا » وبخيراتها .

وعليــه فلا إشكال في حدوث حرب في تلك الأعصر بين الحثيين وبين الحلبيين

الأولين . وكانت الوقائع التي سردناها نتيجة تلك الحرب . لا بل ان دخول مورشيليش الاول مدينة حلب واستيلاءه عليها لم يكن سوى مرحلة من مراحل التوسع الحثي . فان التاريخ والوصية المشار اليهما يقولان ايضاً « ان مورشيليش الاول قام من حلب على بابل وأوقع في بابل البوار والدمار » .

مع ان كبار الباحثين جعلوا هذا الهجوم على مدينة بابل نحو عام ١٨٧٠ قبل الميلاد ، فكان الشاهد الصادق على ان الحرب بين الحثيين والحلبيين قد نشبت في أواخر القرن العشرين قبل المسيح .

فقد ظهر ان مدينة حلب في ذاك العهد كانت قطب مملكة زاهرة تسمى (بلاد مدينة حلپاس) ومنها جاء اسم حلب ، فيكون اسمها لم يزل ثابتاً منذ تأسيسها حتى عهد العرب الذين سموها هم ايضاً به .

ولكن مملكة حلب ومدينة حلب ، بعد ان دمرهما «مورشيليش» الاول ، عادتا الى الوجود اذ رجع احد الملوك فبنى المدينة من جديد . ولا يدخل في علم التاريخ شيء من أطوارهما مدة اربعمائة سنة أو أكثر حتى أواخر القرن السادس قبل المسيح ، اذ نشاهد الحلبيين في عهد «توداليش» الاول ملك الحثيين ، قد لف شملهم بسكان «هانيكالباد» في جنوبي شرقي نهر الفرات واتحدت وجهتهم في مقاومة الحثيين ، فأصبحوا لهم حرباً وعليهم إلباً . وكان من وراء ذلك العصيان تقويض مدينة حلب بأمر « توداليش» الاول . وقد بنيت مرة ثانية ولكنها مافتئت على خلاف مع الحثيين ، بل كانت تثور عليهم أحياناً . فمن تصفح نص المعاهدة التي عقدت بين مورشيليش الثاني وريمیشرما، ، ثبت له ما سبق وعرف تاريخ حلب حتى الى مابعد الحرب التي نشبت في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد .

اما المصريون فانهم حكموا حلب في عهد توطمس الثالث ، الذي ملك من سنة ١٥٠١ قبل المسيح حتى عام ١٤٤٧ . ومنذ ذلك الحين انجلت عن تاريخ حلب الشكوك والأوهام .

حلب : الخوري جبرائيل رباط

ARCHIVE

مطبوعات حديثة

كتاب الجزائر

« تأليف السيد احمد توفيق المدني طبع في المطبعة العربية في الجزائر »

« سنة ١٣٥٠ هـ ص ٤٠٨ »

من أمتع الكتب التي نشرت في الجزائر على عهدها الاخير على أسلوب عصري بديع تام بتأليفه ووضعه وطبعه ، هذا السفر النفيس كتبه مؤلفه باسلوب رشيق وعبارة منسجمة فرسم لنا صورة الجزائر طبق الاصل بحيث من يقرأ كتابه يلم بتاريخ ذاك القطر وتقويم أرضه وعادات أهله وأخلاقهم وأصول إدارته وقبائله ومراكزهم وعناصره وسكانه . قال ان العربية العامية فيه هي أفصح اللهجات العربية وان من يتكلم بها العامة ومن دخلوا في الجيش فيمزجون العربية بالافرنسية بالبربرية بالايطالية الخ ، وأفاض في المعاهد الاسلامية وغيرها وجميع ماله علاقة بادارتها وصنائعها واقتصادياتها وحضارتها الحديثة والقديمة . وكان المؤلف على تحمسه الظاهر في بعض صفحات كتابه صادقاً في آرائه لم يسعه الا ان يقول قول المؤرخ الاجتماعي الصادق للجزائر بين ومما قال : « وبعد فالجزائر اليوم تسير خطوات شاسعة في ميدان النهضة العربية الاسلامية وانها بعلمائها و كتابها وشعرائها ومدرسيها ورجال العمل فيها تهيء لنفسها مركزاً متيناً في عالم النهضة العربية ، انما الخطوة التي بقي عليها ان تخطوها هي ان يشارك الشبان المتعلمون تعليماً فرنسياً عصرياً في الآداب والعلوم العربية ، وان يشارك علماء العربية و كتابها وشعراؤها في العلوم العصرية الحديثة حتى تتوحد الثقافة ويسير الفريقان يداً في يد في طريق واحدة وغاية الجميع رفعة شأن الوطن ورفع الجزائر الخالدة الى أسمى مقام . » (ص ١٠١) وقال (ص ١٤٤) اننا نرى

طغيان اللغة العربية العامية على كل البلاد العربية والبربرية من جهة وترى ان هذه اللغة قد أخذت تترقى وتتهذب وتزداد كل يوم اقتراباً من اللغة الفصحى والفضل في ذلك راجع للمدارس والدروس والصحافة والمحاضرات . » والمؤسف ان خمسةً في المئة من المسلمين هناك يعرفون القراءة والكتابة وينقسم التعليم فيها (ص٢٩٣) الى قسمين تعليم الفرنسيين والاوربيين وهو إجباري فلست تجد قرية أو دشرة أو مركزاً صغيراً الا ورأيت فيه بناية المدرسة الجميلة وأطفال القرية اوالمركز يجبرون على التعليم ، والقسم الثاني تعليم المسلمين وهو يسير الهوينا . والتعليم في الجزائر يتبع مبدئياً نظام التعليم في فرنسا وفي أمهات المدن مدارس لتخريج المدرسين والمدرسات ، وجملة الاوربيين الذين يتلقون علومهم في هذه المدارس يبلغون زهاء ١٣٦ الفاً من البنين والبنات (وجملة الاوربيين ٩١٣ الفاً) ويتعلم في مدارس الحكومة من المسلمين ٦٠ الفاً (وجملة المسلمين نحو ٦ ملايين) فيبقى ٧٨٠ الفاً من المسلمين لايدخلون المدارس ، ومنهم من يتلقى علومه في نفس المدارس الفرنسية وعددهم ٩ آلاف و٤٨ الفاً يتلقون العلوم بالفرنسية في مدارس خاصة وعددها في القطر الجزائري ٥٤١ مدرسة منها ٥١٩ مدرسة للذكور وتلاميذها ٤٥ الفاً و٢٢ مدرسة للبنات تلميذاتها ٣٠٠٠ ، وفي الجزائر ثلاث مدارس للتعليم الثانوي في مدينة الجزائر وقسنطينة ووهران وثماني مدارس عليا (كوليج) وعشرمدارس حرة اوربية وثلاث مدارس تجهيزية للبنات ويزيد إقبال المسلمين على التعليم الثانوي . وللتعليم العالي في الجزائر (الجامعة) وفيها كلية الحقوق وكلية الطب والصيدلة وكلية الآداب وفيها تلقى دروس اللغة العربية الفصحى والمدنية الحديثة والفلسفة الاسلامية ويستفيد في العلوم الاسلامية الاوربيون وقليل من المسلمين ومن أبناء المسلمين نحو ٧٥ طالباً يتلقون التعليم في مختلف الكليات . والتعليم الابتدائي العربي مهمل ويعنى بعض العناية بتعليم العربية في الثانوي والعالي ، وفي الجوامع مدرسون يدرسون الفقه والتوحيد والنحو وهم منبثون في ٣٣ بلدة من بلاد الجزائر ، ويعلم علماء الدين في ثلاث مدارس اسلامية وهي المدية وتلمسان وقسنطينة ومن هذه المدارس يؤخذ القضاة والمفتون وغيرهم ، وهناك مدارس قرآنية حرة لتعليم العربيــة وهي ثلاثون مدرسة في القطر الجزائري تعلم ثلاثة آلاف من أولادها والإقبال عليها كثير وهي تقوم بمال المسلمين وفي استطاعة أهل كل قرية اودشرة اومدينة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن تؤسس مدارس قرآنية والحكومة تشترط لهذه المدارس ان تكون أما كنها صحية وان يكون الشيخ او المؤدب محرزاً شهادة تثبت انه اهل للتدريس ولكن الجزائر يين يهملون التوسع في هذه المدارس للبنين كما أهملوا البنات ، وهناك بعض المدارس الاسلامية التي يتخرج فيها الطلبة علي الاصول القديمة لكنها غير منتظمة وذلك لتهاون الجزائريين بها مع ان الحرية مطلقة لهم في ذلك • الى غير ذلك من المدارس الزراعية والصناعية والتجارية وكلها مفتحة الابواب لا تطلب غير الاقبال عليها من المسلمين كما أقبل عليها غيرهم من نزلاء الجزائر والغرباء عنها من القاصية فاستفادوا وأفادوا • وقصارى القول أن كتاب الجزائر من الكتب الخالدة المفيدة فيه روح الشباب والتجدد ولا تصح ان تخلو منه خزانة كتب شرقية فلمؤلفه الشكر على هذه التحفة البديعة التي أتحف بها المكتبة العربية •

م • ك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصبح المنبي
— عن —
« حيثية المتنبي »

أعاد طبعه الشيخ ياسين عرفة بدمشق — مطبعة الاعتدال — ٢٩٢ صفحة من القطع الوسط •—

يتضمن هذا الكتاب جملة صالحة من أخبار المتنبي على ما هو متعارف ، غير أن عيبه انما هو عيب بعض كتبنا في القديم فلم يرو صاحبه الأخبار من مبادئها الى خواتيمها على صورة مرتبة فقد رواها على صورة مفرّقة مبدّدة وانه ليروي لنا أخبار المتنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى أخباره عند ابن العميد على غير مناسبة فلو ذكر صاحب الصبح المنبي أنباء المتنبي دفعة واحدة من دون أن يتخللها شيء من نقد الشعر أو غيره مما لا محل له في فصل الأنباء لكفى القارئ كثيراً من العناء فأدبنا في القديم لا يزال فوضى ينقصه كثير من الترتيب •—

وقد تولى إصلاح خطأ المطبعة الاستاذ عز الدين علم الدين عضو مجمعنا العلمي وقدم

الكتاب بمقدمة أشار فيها الى فريق من الذين شرحوا ديوان المتنبي ولمح الى إسهاب صاحب كتاب الصبح المنبي في استطراداته وذكر بعض حسنات هذا الكتاب من جملتها صدق كثير من احكامه على المتنبي وإلمامه بكثير من حوادث بعض الابيات التي يستعين بها الدارس على فهمها ومفاضلته بين كثير من القصائد .—

وأشار الى زيادات هذه الطبعة أي طبعة الشيخ ياسين عرفة .—

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً على ورق جيد وفيه بعض خطأ من هذا الخطأ اسم وزير كافور فقد سماه صاحب كتاب الصبح المنبي : ابن حرابه وبقي اسمه هكذا في الطبعة التي تكلم عليها والصحيح ان اسمه : ابن حنزابة .—

شفيق جبري

أحاديث الزواج في مصر

كتاب جيد الورق متقن الطبع طبعته مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر القاهرة وضعه مؤلف عالم ضليع من فلسفة الاجتماع لم يشأ — تواضعاً أو لغرض من الاغراض — ان يذكر اسمه في فاتحته بل جعله «غفلاً» واستعار له اسم «رسول الزواج» وأكرم به من رسول فصيح اللسان جلي البيان ، وجه رسالته بنوع اخص الى الفتى الناهض والفتاة العصرية يسأيهما بما فيه من فلسفة وادب صحيحين ويضيء عقليهما بنور وحي الحكمة التي فيه حتى اذا اقبلا على الزواج توسما رسم خطواته .

قسم المؤلف احاديثه الى ابواب عالج فيها فلسفة الزواج ومنافعه ومشاكله وكل ما يتعلق به من اوليات وشروط ونتائج ومحّص الاسباب في كل ذلك وردّها الى عللها ومنابتها ووصف دواء ادوائها . وقد حلاه برسوم منتقاة كل واحد منها يوافق الفصل الموضوع فيه ويزيده بياناً فوق بيانه الادبي واللغوي . حريّ بهذا الكتاب ان يقرأه الكبير والصغير وان تكون له مكانته على مناضد العائلات الكريمة .

عبد الله رعد

منابت الصهيونية

كتيب مطبوع في مدينة سان باولو احدى امهات مدن البرازيل وضعه السيد توفيق قربان ٠ وهو يحتوي على قصة ملفقة القصد منها تكريه الناس من اليهود الصهيونيين المستعمرين لفلسطين ولكنه بهذا التلفيق لم يصب الهدف بل حطّ فيه من كرامة المسيحيين واليهود عامّة لانه اوّل في هذه القصة آيات التوراة على غير تأويلها والتوراة كتاب منزّل في اعتقاد المسيحيين واليهود وله فوق ذلك اعتبارٌ كبير عند سواهم من الشعوب ومكانة عظيمة في التاريخ ٠ وليته طرق غير هذا الباب فيا رماه اذاً لما طاش سهمه ٠

وتلي قصة منابت الصهيونية في هذا الكتيّب قصصٌ اخرى من تعريب السيد قربان الا ان تسميته لها « اجتماعية » في غير موضعها لان ما في كل منها من المغزى لا ينطبق على مبادئ الشرف والاستقامة ، وخصوصاً مغزى القصة التي اسماها بعنوان « رجل مستقيم » فلسفة الدين والاجتماع كثيرة التشعب والفروع عند الامم والشعوب ولكل شعبة منها انصار ٠ الا ان السيد قربان كتب ونقل باللغة العربية ، اذاً فكتاباته موجهة الى قرّاء العرب ، ولا اظن ان الكثيرين بين هؤلاء يقولون قوله او يرون رأيه ٠ ٠ —

اما من جهة اللغة المكتوبة بها هذه القصص في هذا الكتيّب فلا بأس بها ٠

عبد الله رعد

الاسلام

« للسيد هنري ماسي — طبع باريز سنة ١٩٣٠ عدد صفحاته ٢٢١ بقطع صغير »

Henri Masset - L'Islam, 221 pages. Paris 1930

يحتوي هذا الكتاب بالرغم من صغر حجمه على موجز تاريخ النهضة الاسلامية وقد افتتح كتابه بمقدمة عن العرب قبل الاسلام ثم بحث عن الاسلام وتطوره الديني والمدني منذ نشأته حتى تاريخنا هذا كما أنه بحث في اصول الادارة الاسلامية وتقدمها في القرن الاولى ٠ ومما لا نقر المؤلف عليه قوله بأن محمداً (ص) حط من شأن المرأة وسلبها الحرية التي

كانت تتمتع بها في زمن الجاهلية والحقيقة ان الاسلام هو الذي صان حقوق المرأة كما صان حياتها . ونرجو ان لا يكون المؤلف قد تأثر ببعض المصادر المتحاملة على الاسلام وتاريخه

جعفر الحسني

احصاء الابنية الاثرية

« في مدينة حلب »

للسيد ج سوفاجه — طبع باريز سنة ١٩٣١ عدد صفحاته ٥٦

Inventaire des Monuments Musulmans de la ville d'Alep.
56 pages. Paris 1931

يحتوي هذا الكتاب على وصف لأشهر ابنية حلب الاسلامية الاثرية وعاديتها وقد بين مؤلفه في مقدمته خطورة حلب الأثرية وما تمتاز به عن بقية المدن الاسلامية الشرقية من وفرة آثارها وتنوعها ويمتاز هذا الكتاب عن غيره باشارته الى مواضع الخلل في كل بناء وما يحتاج اليه من الترميم والاصلاح وقد زينه برسوم ومخططات بعض هذه الابنية ويصح ان يتخذ هذا الكتاب دليلاً لكل من يزور مدينة حلب فيستنير به وينتفع بفوائده وذلك لخبرة مؤلفه الواسعة في آثار سورية الاسلامية .

جعفر الحسني

أخبار دمشق عن الصليبيين

The Damascus chronicle of the Crusades H. R. A. Gibb

كتاب نقله الى الانكليزية المستر (هـ. أ. ر. جب) أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن عن كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وهو ذلك الكتاب العربي الذي طبعه الاستاذ امدروز في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة١٩٠٨ . وأضاف اليه مقدمة وجيزة مشفوعاً بفهرس الأسماء الواردة في تلك الرسالة مرتبة بحسب حروف الهجاء والأسماء اللاتينية القديمة ومايقابلها باللغة الانكليزية . عدد صفحاته ٣٦٨ وهو مطبوع على ورق صقيل وبحرف جميل .

أشار الاستاذ في المقدمة الى قلة الكتب العربية القديمة الباحثة في حروب الصليبيين الاولى وأثرها في الشرق الأدنى وبحث عن الرسالة المخطوطة التي عثر عليها منذ بضع سنوات في مكتبة البولديانا وقد تناولت قسماً عظيماً من تلك الحوادث بقلم ابن القلانسي فأحب نقلها الى اللغة الانكليزية ليسهل درسها على المؤرخين ·

وقد جاء في مقدمته على ذكر حياة ذلك المؤلف العربي كما اقتبسها عن كتاب تراجم أعاظم الرجال الدمشقيين وأسفار التاريخ الكثيرة مما نوجزه فيما يلي لتتجلى منها قيمة هذا الكتاب الثمين الذي أخذت معظم أخباره عن مصادر رسمية بالنظر لشدة ارتباط المؤلف العربي بدواوين الدولة ولتأييده الاخبار التي كان يسمعها من المحاربين بالوثائق ·

وابن القلانسي هو حمزة بن اسد المعروف بأبي يعلى يمت بنسبه الى أسرة دمشقية معروفة تنتمي الى قبيلة تميم ، وقد درس الأدب والدين والشريعة واستخدم في المصالح العامة امين سر ديوان الرسائل ثم انتهت اليه رئاسته · ووسدت اليه رئاسة المدينة وتوفي في ٧ ربيع الأول سنة ٥٥٥ هجرية الموافق لـ١٨ آذار سنة ١١٦٠ ميلادية عن عمر بلغ التسعين سنة · والكتاب المذكور هو الأثر الوحيد الذي قام بتأليفه وسماه « ذيل تاريخ دمشق » ممايدل على انه وضعه كتتمة لكتاب المؤرخ هلال الصابي وبدأ في نقل الحوادث منذ وفاة المؤرخ المذكور سنة ٤٤٨ هجرية وأورد في كتابه فقرات منه حتى تاريخ وفاته سنة ٥٥٥ هجرية ·

ويقسم الكتاب الى أقسام عديدة يبحث كل منها في مدة معينة ابتداء من اول الحروب الصليبية حتى سنة ١١٦٠ ميلادية مع بيان الحوادث المهمة وما طرأ على دمشق اثناء ذلك من الامور وما تقلب عليها من ملوك وأمراء ·

عبد الرحمن الجوخدار

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

المخطوطات
« التي اقتناها المجمع العلمي حديثاً »

(تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) مخطوط في مجلد لطيف الحجم يبلغ ٧٣ صفحة مؤلفه ابو بكر بن الحسين المراغي العثماني نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ٨١٦ اوله (الحمد لله الذي جعل المدينة الشريفة دار هجرة رسوله الخ) ويفهم من مقدمة المؤلف انه في تأليفه انما هو يلخص تاريخ الحافظ محب الدين النجار الموسوم (بالدرة الثمينة في اخبار المدينة) وقد ضم اليه بعد التلخيص (سوانح الشوارد وفرائد الفوائد) الى آخر ما قال والنسخة غير حسنة الخط ولا متقنة الضبط وقد كتبت عن نسخة المؤلف التي بيضها في ١٢ رجب سنة ٧٦٦ هـ وهي من (كتب سليمان بن محمد الشامي) وقد وقفها على طلبة العلم في المدينة المنورة سنة ١١٩٤ هـ .

كتاب القنطير (كذا) كامل الصناعتين (كذا) المعروف بالناصري سمي به لان مؤلفه ابا بكر ابن البدر البيطار صنفه برسم خزانة الملك الناصر بن قلاوون وهو مجلد كبير تبلغ صفحاته ٤٥٠ صفحة حسنة الخط ومتينة الورق . ولا يفهم موضوع الكتاب من اسمه وانما يعرف من فهرسته المسهب المفصل وهو في الخيل واوصافها وامراضها ومحاسنها ومساويها وجميع ما يتعلق بها واوله (وما من دابة الآية الحمد لله الواسع العطا الذي اسبل الغطا) وقد قال في المقدمة انه لم يترك شيئاً مما يتعلق بالخيل حتى ذكره (ولا مراً للزراطقة والبياطرة والنخاسين (كذا) والركابين الاواوقفته على حده الخ) والكتاب مركب من عشر مقولات وكل مقولة من عدة ابواب وليس في النسخة ما يدل على زمن كتابتها وانما شكل الخط يدل على انها كتبت من عهد قريب . ويظهر ان مؤلفه بيطار قدير وله اب حاذق في صنعة البيطرة فهو ينقل عنه اشياء كثيرة في هذه الصناعة وحبذا لو طالعه احد علماء البيطرة في دمشق ولخص عنه مقالاً فان فيه فوائد لغوية واصطلاحية تتعلق بزمن الملوك الشراكسة .

(بستان الفقراء ونزهة الامراء) كتاب في الوعظ صنفه الشيخ علي الكتامي الشافعي اوله الحمد لله الذي احكم الامور وقدرها وقد قال المؤلف انه جمعه من كتب عديدة

ورتبه على مئة وخمسة ابواب تجاه في نحو ٨٠٠ صفحة وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٩١ هـ وقد كتبت المخطوطة سنة ١١٤٨ هـ وهي جيدة الخط مقروءة . —

(نتيجة العقاد سيف معرفة الاوقات) هو مخطوط كل صفحاته جداول ودوائر مرقومة بالحبر الاسود والاحمر والاخضر احياناً وقد افتتحه مؤلفه بأرجوزة أبان فيها الغرض من تأليف نتيجته قال في اولها :

(يقول يوسف الحقير المتجي لحرم الله وعوداً يرتجي)

ومنها : (أرختها رزنامة هدية لها على امثالها مزية)

وقوله (رزنامة هدية) تبلغ أبجديته سنة (١١١٧هـ) وكاتب هذه المخطوطة مراد ابن الشيخ علي نور الدين القباني نقيب طائفة القبانية بمصر تلميذ الشيخ مصطفى ابي الاتقان الوفائي الخياط صناعة كتبها في رجب سنة ١١٩٥ هـ وقوله (الخياط صناعة) راجع الى كاتب النسخة (مراد) لا الى الشيخ أبي الاتقان الوفائي . والكتاب نفيس مفيد ولاسيما فيما يتعلق بالميقات المصري واعياد المصريين ومواسمهم المختلفة فهو لم يدع من الاعياد الاقباط شيئاً حتى ولا عيد (ابو شنودة) و (وابوبقطر) و (قائل الحية) و (عيد مهرايا) و (عيد فلوطس) الخ الخ اما الما كل وما يختار منها في الفصول فهو ايضاً فصل فيه القول تفصيلاً وكذا الاستحمام والطعوم والشروب ومهاب الرياح واوقات الزرع والحصد والقطاف الخ الخ .

(شرح مقدمة قانون ابن سينا) مجلد ضخم حسن الخط مقروء ملزوز الاسطر والكلمات لكنه كثير الغلط وعدد صفحاته (٦٧٠) واوله (الحمد لله الذي دقت حكمته في خلقة الانسان) ومؤلفه هو (محمد بن محمود الآملي) ذكر في مقدمته انه قدمه الى سلطان زمانه ولم يسمه وقد انتهى الكتاب بالفصل الحادي والثلاثين في الوصية بان الطبيب اذا تعددت الامراض في شخص فبأي مرض يبتدئ ؟ وبعدان وفى هذا قال مانصه (وليكن هذا القدر من كلامنا المختصر في الاصول الكلية لصناعة الطب كافياً ولنأخذ في تصنيف كتابنا في الادوية المفردة) .

وفي عبارة الكتاب اخطاء كثيرة فإما ان تكون من الناسخ او تكون من المؤلف نفسه لأنه يظهر من اسمه وأسلوب تقديمه الكتاب لسلطان عصره انه تركي عثماني .

«المغربي»

كتاب

التبصر بالتجارة

« للجاحظ »

توطئة للناشر

—⟨⟩—

الجاحظ بصري المولد والوفاة ، بالبصرة وُلد وبها شبّ ودرج ، وفيها دوّن غالب تآليفه .

مابين نصفي القرن الثاني والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق[1] » ، وكيف لاتكون كذلك وهي عندئذ باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة الى فرنسا أوجنوة لايطاليا وليفربول لبلاد الانكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المرامي بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من مجاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها ان تلقب « بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أضداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب . .

---

(١) ثمار القلوب للثعالبي ص١٢٧ ومعجم البلدان لياقوت ٢ :

م : ٥

فاخر خالد بن صفوان البصري ببلده لدى عبدالملك بن مروان فقال :

« يغدو ساكنها قانصاً فيجيء هذا بالشبوط والشيم ، ويجيء هـذا بالظبي والظليم ، ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً[١] . »

وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :

« ومن أتى وادي القصر بالبصرة رأى ارضاً كالكافور ، ورأى ضباباً تحترش ، وغزلاناً وسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاّح في سفينته ، وحدا جمّال خلف بعيره[٢] »

وقد قال الخليل بن احمد البصري قبله[٣] :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي ... في منزل حاضر ان شئت او بادي

ترّ به السفن والظلمان حاضرة ... والضب والنون والملاح والحادي

اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح في الآفاق والترامي على الأسفار البعيدة والضرب في مناكب الارض طلباً للرزق والتماساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح : « بانه ليس في الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا الا وانت واجد به البصري والمدني[٤] » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب الرحلات على بعد همة البصريين في الترحال وغورهم في الاغتراب حتى قال ابو بكر الهمداني — وناهيك به من خبير : « وأبعد الناس نجعة في الكسب بصريّ وحميريّ ، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد ان يرى فيهما بصرياً أو حميريا[٥] . »

ومن البديهي ان من كان في ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وحبه استطلاع الاشياء والبحث عن الجليل منها والحقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الاحجار الكريمة والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها في عصره ، على

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤

(٢) ثمار القلوب ص ٤١٩ . (٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠

(٥) كتاب البلدان للهمذاني (طبعة ليدن سنة ١٣٠٢) ص ٥١

أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد في البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت والمغشوش من العطور والعقاقير ، وفرق بين العالي منها والمتوسط والرديء فأضاف الى الخبرة التفنن والى المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي ننشره اليوم .

فلا عجب حينئذ ان اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمة تهم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهي لعمري افادة ذات شأن ، ترشدنا الى ما وصلت اليه عواصم الاسلام الكبرى — لاسيما بغداد — من التبحر في العمران وتوسع سكانها في وسائل البذخ والترف . ما جعل تجارها في حاجة الى توريد نتائج أطراف المعمورة وان بعدت ور كوب الاخطار والمشاق في سبيل استجلابها وبذل النفس والنفيس في اقتنائها إجابة لرغبة الاغنياء وتسديداً لشره النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة ربات الخدور !

نعم ! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تآليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية قديماً وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه الهمذاني ، وابن رسته الاصبهاني ، وابوزيد البلخي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وابن البشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ، غير أنا لا ننس ان الجاحظ هو الذي فتح لهم باب التأليف في تقويم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم في الحقيقة عيال عليه — وان توسعوا بعدُ — ومقتفو أثره ومقلدوه ، الامر الذي جعل أحدهم — وهو المقدسي — يقول : « واذا نظرتَ في كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ[1] »

وهي لعمري شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ في خوض هذا الميدان ، وليس هو باول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذي لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادي برسم احد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم ، في معرفة الاقاليم » للمقدسي — طبعة ليدن سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١ .

بالتأليف والاهداء اليهم ، فهو — وان لم يسمه — احد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضي القضاة احمد بن ابي دؤاد ، والوزير الفتح بن خاقان ، وابراهيم ابن العباس الصولي ؛ وأراني في غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة الى الجاحظ ، وان لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة في فهرست ابن النديم ومعجم الادباء لياقوت ، لكن أبومنصور الثعالبي[1] والعلامة النويري[2] تكفلا بتعريفنا بها ونقلا جملاً منها بالحرف الواحد ونسبتها الى مؤلفنا الكبير حسبما نشير اليه في محله .

على ان « التبصر بالتجارة » ليس باول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فان « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعدُ في قائمة ماتسب اليه ياقوت في معجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي كثيراً[3] .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ الفاظاً دخيلة في غضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتّاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فطالما استعملوا اصطلاحات ومعرّبات جلها فارسي المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة احمد تيمور باشا أثر بعض المعرّبات الواردة في كتاب «نشوار المحاضرة» للتنوخي فعقد لشرحها فصولاً ممتعة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية[4] .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، وياحبذا لو توفق من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل الى فهم الفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الاسلامية مثلما فعل المستعرب الهولاندي دوزي في « مستدركه على المعاجم العربية » ، وهي أمنية طالما أبداها كل من يعاني استقراء تصانيف الدور العباسي .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية

---

(١) « ثمار القلوب » . (٢) « نهاية الارب » .

(٣) ثمار القلوب ص٤٣٨ وص٤١١ . (٤) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع العلمي العربي ، جزء تشرين اول سنة ١٩٢٢ ص٢٨٩ ومابعده .

(مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوي على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتهاريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير ابي عبدالله علي بن مقلة ، ثم كتاب «التبصر» هذا ، ثم شرح قصيدة ابي الفضل ابن النحوي التوزري المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاءالدين علي بن جمال الدين البصري الشافعي نزيل دمشق ختمه خلال سنة ٨٧٣هـ ، وفيما يظهر ان كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامي معتاد تغلب عليه الصحة الا في الاعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحثي الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فاني لم أظفر بها فاقتصرت على ايراد ما هو موجود هنا .

وقد بذلت جهدي في اكساء هذا الاثر الجليل الثوب الذي يليق به إحياء لذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولي التوفيق .

المهدية الفاطمية (تونس) : ح . ح . عبد الوهاب الصمادحي

شعبان ١٣٥٠

وفي الصفحة التالية يرى القارئ ذلك الأثر الجليل :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري :

سألت - أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ، والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادةً لمن حنكته التجارب ، وعوناً لمن مارسته وجوه المكاسب والمطالب ؛ وسميته بكتاب « التبصر » والله ولي التوفيق .

زعم بعض المحصلين من الاوائل ان الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه ، غال بفقدانه اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم في ارض فليتحول الى غيرها .

وقالت الهند : ما من شيء كثر الا رخص ما خلا العقل فانه كلما كثر غلا ، (١) :

وقالت العجم : اذا لم تربحوا في تجارة فاعتزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق أحدكم بأرض فليستبدل بها (٢) :

---

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة الى نصر بن سيار والي خراسان ، لكنه أورد لفظ « الادب » « بدل » « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز — طبعة مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٦) .

(٢) نقل ابو منصور الثعالبي جملاً من الفصول التي اوردها الجاحظ هنا ولم يعزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فصل « التجار والسوقة » من كتابه « التمثيل والمحاضرة) : اذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها الى غيرها ، واذا لم ترزق بارض فاستبدل بها — وقال : الرابح في كل سوق ، البائع لما ينفق فيها — وقال : شاركوا الذي اقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق — وقال : من اشترى مالا يحتاج اليه باع مالا بد منه » ومن هنا يظهر ان ما نقله الثعالبي هو عين ما اورده الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ

وقالت الفرس : الرابح في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها .
وقالت العرب : اذا رأيتم الرجل قد اقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .
وقيل لبعض المياسير : بِمَ كثر مالك ؟ قال : ما بعت بنسيئة قط ، ولا رددت ربحاً وان قل ، وما وصل اليّ درهم الا صرفته في غيرها [١] :
وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستغنون عنه .
وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك وبين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك [٢] . وخير الدهر ما أصلحك ، وخير الناس من نفعك ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة ما اربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن ما استحسنته وان كان قبيحاً ؛ وكان يقال : خير الصناعة الخز [٣] وخير التجارة البز .

« باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال الحكيم [٤] : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون كنار خامدة وشعاع مركوم و كبريت تانئ [٥] وانما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكير ولا

(١) كذا بالاصل وكأن المؤلف أعاد الضمير الى التجارة ولذا جعله مؤنثاً .

(٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدي (الغيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرا قائلها ، وكأن الجاحظ يشير الى كلام عثمان بن عفان — رضي الله عنه — حين سئل عن كثرة أرباحه فقال : لم أرد من ربح قط ولو قل (راجع كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٢) .

(٣) بالاصل : الخرز — واظنه تحريفاً من الناسخ والصواب : الخز — لتحصل القافية والمعنى .

(٤) كثيراً ما يبتدئ الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكيم — أو : قال — وفي ظني انه لا يقصد بذلك الا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تآليفه لا سيما كتاب الحيوان .

(٥) هذا الوصف يشبه كثيراً ماذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣) حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو الا نار . . . وشعاع مركوم . . .

يفسده مر الدهور ؟ وقيل انما صار الذهب ثمناً لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة .

وخير الدنانير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما ، والنبهرج[1] من الدنانير يعتبر بخفته وثقله .

وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ، ومذاق الزيوف مر صدئ ، والنبهرج من الدراهم مالح جرمي الطنين ، والفضة صافية الطنين لا يشوبها صمم وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم .

« باب مايعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها »

زعموا أن معرفة جوهر اللؤلؤ انك تجد مذاقته على ضربين : عذب المذاقة عُماني ، وملح المذاقة قلزمي كلاهما يرسب في الماء ، والمعمول منه تجده مر المذاق مع دسومة فيه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء .

وزعموا ان اللؤلؤة اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارة المص واللمس فان ذلك للعلة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس وامتحانها بذلك .

وزعم الجزيون ان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الألية الطرية المشرحة وتؤخذ في جوف عجين ويدخل التنور ويبالغ في إحمائه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا بخر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو .

ومعرفة اللؤلؤ اللحمي الجوهري من الصدفي العظمي هو ان الجوهري يكون مستوي الصورة ليناً أملس ، والعظمي يكون خشناً غير مستوي الهيكل .

وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديد التدحرج والاستواء ، واذا كانت

وهو الكبريت الاحمر — ومن هنا يستدل على ان الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه في تضاعيف تصانيفه من غير ان يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب .

(١) النبهرج — معرب نبهره الفارسية — هو الدينار أو الدرهم المموه الزيف الردي (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجي وغيره) — وفي كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٦٩) : دينار بهرج — وهو صحيح ايضاً .

حبتان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان ارفع لثمنهما ؟ والعُماني أنفس وأرفع من القلزمي لأن العاني عذب نقي صاف ، والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير [١] :

واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت دُرة ، والمدحرجة المعتدلة في التدور اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك في الثمن ، واثمانها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجها ، واذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهي فريدة ، وكلما كانت أصفى وأنقى كان أرفع لثمنها وأنفس ، والدرة اليتيمة قلزمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه [٢] :

وخير الياقوت البهرماني [٣] ثم الاحمر المورد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجوني [٤] وأدونه الابيض ؟ والياقوت من جبل سرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المعمولات بخصال

(١) عن ذكر اللؤلؤ القلزمي قال ابوالعباس احمد التيفاشي التونسي المتوفى سنة ٦٥١ في كتابه « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » (خط بمكتبتي) : ... وكذلك ما يوجد من الجوهر ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز فردي ولو كانت الدرة منه في نهاية الكبر فانها لا يكون لها طائل في الثمن اذ ليس فيها شيء من أوصاف الدر النفيس .

(٢) قال التيفاشي في كتابه المذكور : والمرجان في لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ النقي ، واستشهد بابيات لامرئ القيس — وقيل انه أول شعر قاله — منها :

فاعزلـ مرجانها جانباً واخذ من درها المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفي اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التي تطلع من البحر ويتخذ منها الحلي والأعلاق والسبح .

(٣) البهرمان : فارسي معرب معناه : أحمر اللون ؟ قال التيفاشي : والياقوت البهرماني هو أحمر نقي الحمرة لا تشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفر وبه سمي هذا الصنف من الياقوت .

(٤) الاسمانجوني : فارسي معرب مركب من كلمتين (آسمان) اي السماء و (گون) لون ، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء .

ثلاث : برزانتها في الوزن ، وبرودتها في الفم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد في الفم بطيء عمل المبرد فيه ؛ والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافي النقي المضيء من أي لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها [1] والياقوت الأحمر البهرماني الصافي اذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ في الثمن خمسة آلاف دينار ؛

وكان وزن فص الخاتم الذي يسمى « الجبل » مثقالين قوم بمائة الف دينار واشتراه ابو جعفر المنصور بأربعين الف دينار [2] . والياقوت الاسمانجوني ربما بلغ الفص منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة الصافي الجوهر ؛ ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول تتخذ كمعرفة اليواقيت : برزانته وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على مهل ؛ والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع المبرد فيه ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) كذا بالاصل ولعل ضمير المؤنث في قوله : كبرها وصغرها — عائد على ياقوتة .

(٢) نقل ابو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولاً وفقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها الى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) ان الياقوت لا يكون الا من جبل سرنديب بالهند ، وخيره الاحمر البهرماني ، ثم الوردي ، ثم الرماني ، واذا بلغ البهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوم بمائة الف دينار فاشتراه المنصور باربعين الفاً . » (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) — ونقل الصلاح الصفدي من تأليف الشيخ شمس الدين بن ساعد الانصاري وسماه « نخب الذخائر في أحوال الجواهر » جملة مهمة جداً تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه ومثمنه جاء في ضمنها : وكان في خزانة الأمير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قومت بعشرين الف دينار ، وكان للمعتصم العباسي فص يسمى «ورقة الآس» لانه كان على شكلها وزنها مثقالان الا شعيرتين اشتراه بستين الف درهم (كتاب الغيث المنسجم ١ : ٨٣) .

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافي النقي ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ في الثمن الفي مثقال ذهباً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ؟

وكان فص الخاتم الذي يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه ابو جعفر المنصور بثلاثين الف دينار وهو اليوم في خزانة بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشير بام[1] الاخضر الاسمانجوني الصافي العتيق ، والفيروزج حجر لايعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود في الثمن .

وخير البيجاذي[2] الأحمر الشديد الحمرة الملتهب لونه التهاب النار ، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجاذي فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون دينار . والجوهر النفيس لاقيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) شيربام : فارسي معرّب مركب من لفظين ومعناه (لون اللبن) .

(٢) البيجاذي : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب التبن ، واصله في الفارسية (بيجاده) وهو اسم "الكهرباء" ، وقد عرّب قديماً وورد في اشعار العرب ، قال الفرزدق (الاغاني ط بولاق ج ٩ : ص ٢١) :

أغرّك منها لوثة عربية علت لونها إن البجاديّ أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دي خوي طبعة ليدن ص١٨٤ (Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab., de de Goeje) وانظر ايضاً التعليق الجميل الذي وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه الكلمة في تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمي الدمشقية ج٧ ص٢٠٤ من سنة ١٣٣٩)

وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البجادي العتيق ، وهو جنس من الفصوص تسميه العامة البزادي (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .

والبلور يُختار لصفائه وعظمه ، وخير الزجاج البلوري الصافي الأبيض النقي ، والفرعوني الفائق [1] . وخير الماس [2] البلوري الصافي الابيض النقي ، ثم الأحمر ، واذا بلغ وزنه نصف مثقال بلغ في الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ في الثمن وأرفع .

« باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة »

زعموا ان خير العود الهندي المندلي [3] الذي لا غش فيه ، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته بحدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندي الثقيل الوزن الذي يرسب في الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذي يطفو على رأس الماء ، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة .

وخير المسك التُّبَّتي [4] اليابس الفائح وأرداه البُدّي ، وغش المسك من

(١) ورد ذكر الزجاج الفرعوني في كتاب (الحيوان) للجاحظ ج٣ ص ١١٦

(٢) الماس : يوناني معرب وهو الديامنت وقد ورد ذكره في الحديث الشريف (النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٧٩) — وقال التيفاشي : الماس نوعان : الزيتي والبلوري ، والزيتي أجودهما ، والبلوري أبيض شديد كلون البلور ، والزيتي يخالط بياضه صفرة كلون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني (كتاب ازهار الافكار — خط) .

(٣) المندلي : منسوب الى « مندل » وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذكي الشذا (راجع معجم البلدان لياقوت — لفظ مندل — وشفاء الغليل) — وقال أبو منصور الثعالبي وفي كتاب « العطر » [للجاحظ] : وخير العود الهندي المندلي ، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته اذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب اسبوعاً وأكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

(٤) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبتي نسبةً الى بلاد التبت ، وفي كتاب « الحيوان » للجاحظ (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كان يجلب من التبت — وفي « المحاسن والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآنك[1] وجندبادستر[2] ودم الأخوين[3] وسياه دارو[4] وكلما خف وزنه وفاح فهو أجود .

وزعموا ان خير العنبر الاشهب الزابجي[5] ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه

طرائف ما في بلادهم « فمن الهند الفيلة والسيوف والجلود ، ومن التبت المسك والحرير والاواني ، ومن السند الطواويس والببغاء ، ومن الروم الديباج والبسط . » — ويؤيده مانقل الاصطخري وابن حوقل حيث قالا : ولهم [أي أهل ماوراء النهر] من المسك الذي يجلب اليهم من التبت وخرخيز ماينقل الى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة (المسالك والممالك للاصطخري طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ — والمسالك والممالك لابن حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و٣٣٧) .

(١) آنك : فارسي معرّب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعي وهو القصدير (جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) .

(٢) جندبادستر : فارسي معرّب وهومثانة حيوان بري بحري يكون في الانهار العظام يسمى القندر (وعند الافرنج Castor) وخصاه هي الجندبادستر (الدميري ٢ ٢١٧٠ وابن البيطار ١ : ١٧١) .

(٣) دم الاخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن ابي حنيفة الدينوري : هو صمغ أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الاطباء ، ويقال له الشيان أيضاً (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) — قلت : والمعروف ان دم الاخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقّم .

(٤) سياه دارو : ويكتب ايضاً : سيادرو — وسيادروان ، وفي القانون لابن سينا سيادوان . فارسي معرّب ، وهو صمغ الجوز الشامي (راجع كشف الرموز لابن حمدوش ط حجر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) .

(٥) الزابجي : سمى القلقشندي من انواع العنبر ستة أضرب اولها الشحري ثم الزنجبي [قلت : وهو لا محالة تحريف الزابجي أو الرابجي] وهو أجود العنبر وافضله . . (صبح ٢ : ١١٧ و١١٨) — وجاء في تاج العروس : (والرباحي جنس من الكافور) منسوب الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الا ٠٠٠٠ [هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها باي وجه ولم يبق ظاهراً منها سوى ماهو مرسوم بالحمرة — في السطر السابع عشر — وهو : باب معرفة الثياب وما يستجاد منها]

٠٠٠٠ وخير الوشي [في الثوب] السابري [1] والكوفي ، والابريسمي ، والمذهب

بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو الى ملك اسمه رباح اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) — وفيه : ورباح موضع بالهند ينسب اليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً في الغلط الحاصل في الصحاح للجوهري إذ نسب تارةً الرابحي الى بلد بالهند وتارةً الى دويبة يجلب منها الزبد — وذكر ابن البيطار — في مادة كافور وعنبر — ان الرباحي مشتق من اسم ملك هندي اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) — وقال داود الانطاكي ويسمى الرياحي لتصاعده مع الريح ، وقيل الرباحي — بالموحدة — نسبةً الى رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة — مادة كافور) — وقال دوزي في مستدرك كه على المعاجم العربية : ان بعض المصنفين يسميه ايضاً الزباجي .Dozy, Suppl. aux diction arabes, vol. I p. 499 — ومما تقدم يتضح ان الاختلاف في اسم الزابجي أو الرابجي قديم ولا يعرف على وجه التحقيق نسبته ، ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة بالاصل مع التنبيه عليه — ووقفنا اخيراً على فصل ممتع نشره العلامة المحقق الاب انستاس ماري الكرملي كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه واثبت ان اصل اللفظ — الزابج — وهو اسم جزائر مالَيسية (جاوه وسومطرة وبرنيو) عند قدماء العرب — والنسبة اليه زابجي ، فحرفه النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزابجي والرابجي وغير ذلك (راجع مجلة المجمع العلمي الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩)

(١) السابري : نسبة الى سابور ، وفي حديث حبيب بن ابي ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استشف ماوراءه ، وكل رقيق عندهم سابري والاصل فيه الدروع السابرية منسوبة الى سابور [النهاية لابن الاثير ٢ : ١٥٢] — وفي التاج : والسابري ثوب رقيق جداً ، قال ذوالرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه   على عصويها سابري مشبرق

http://Archivebeta.Sakhrit.com ARCHIVE

المنسوج ثم الوشي الاسكندراني الكتان البحت [١] ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشي الغزلي ، ثم الذي لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني لانه يرتفع على هذه السبيل من الغزلي ، والابريسمي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني لانه ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار .

وخير السنجاب [٢] القاقم [٣] ثم الظهور منه ، ثم الخزري [٤] ثم الخوارزمي ، ثم الذي لاغش فيه من زغب الارانب .

ومنه المثل : عرض سابري ، اي رقيق جداً [تاج ٣ : ٢٥٢] — وقال ابومنصور الثعالبي : والسابري ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة الى نيسابور وعرّب فقيل سابري [ثمار القلوب ص ٤٢٩] .

(١) نقل ابومنصور الثعالبي العبارة الآتية في لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن أي تأليف للجاحظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس ان القطن لخراسان وان الكتان لمصر ، ثم للناس في ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي من الكتان لا غير مائة الف درهم [ثمار القلوب ص ٤٢٠ — وراجع ايضاً كتاب « ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه » للمحبي — خط بمكتبتي] .

(٢) السنجاب : قال القلقشندي : حيوان أكبر من الفار يعيش في الشجر العالي ، فيها يأوي ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الافرنج والصقالبة ، ووبره في غاية النعومة وجلده في نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التي يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن ألوانه الازرق [صبح الاعشى ٢ : ٥٠] أقول وهو المسمى باللاتينية Scuriolus وبالفرنسية Ecureuil .

(٣) القاقم [بقافين الثانية منهما مضمومة] — هو دويبة في قدر الفار لها شعر أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أعز قيمة من السنجاب [صبح ٢ : ٤٩] .

(٤) الخزري : نسبةً الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

وخير الثعالب الاسود[(١)] الخزري الغليظ الشعر الذي لا يُغَشّ بصبغ، ثم الابيض، ثم الاحمر المحصري[(٢)] ثم الاحمر الخزري، ثم الخلنجي[(٣)] .

وخير الفناق أكثرها أذناباً : وخير السمور الصيني، ثم الخزري الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزّى[(٤)] القرمزي الأرمني المنير، ثم الخز الرقّ، ثم الخز القُطوع[(٥)] ثم الديباج على عمل الخسرواني[(٦)] الرومي، ثم الخز المدبج على

(١) قوله : خير الثعالب الاسود، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ [ج٦ ص١٠٠] وفي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود وهو ضروب فمنه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفنك، ومنه الخلنجي وهو الاعم » .

(٢) كذا بالاصل وأظنه غلطاً من الناسخ وصوابه «المصَّري» أي المصبوغ بالمصرة وهي العصفر، وقال ابن سيده : والثوب المصر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو بحمرة طفيفة [المخصص ٤ : ٩٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣) الخلنجي : المقصود به الذي يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف [ابن البيطار ٢ : ٦٨] وقد عرف أبو الوليد الزركشي اللون الخلنجي بقوله : مخطط بسواد ودخنة [راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزي ج ١ ص ٤٠٠] .

(٤) المِرعِزّى والمرعزاء — بكسر الميم — اذا خففت مددت واذا شددت قصرت، وأصله بالنبطية (مرعزّا) وقد تكلمت العرب به قديماً، قال جرير من قصيدة يهجو بها التيم :

كساك الحنظلي كساء صوف ومرعزّى فانت به تفيد

أي تتبختر عجباً [راجع المعرب للجواليقي ص١٣٧] .

(٥) القُطوع جمع قطع وهو ضرب من الوشي في الثياب [المخصص لابن سيده] .

(٦) الخسرواني، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب الى عظماء الأكاسرة، وهو فارسي معرب [المعرب للجواليقي ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجي] .

الميساني ، ثم البزيون[1] ؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجاً بالذهب فهو أجود وأبلغ في الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب الا الأرمني والميساني والبزيون .

وخير البزيون المسكي الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المفلس[2] ثم الساذج ، ثم المعيّن[3] ثم المنقط ؛ والغفارة المسكية اذا كانت رقيقة العمل نقية ربما بلغت في الثمن خمسين ديناراً .

وابوقلمون[4] من الزلالي[5] الخسرواني الرومي القرمزي على خطوط مختلفة البنفسجي في الأحمر والأخضر ، وزعموا انه يتلوّن ألواناً بارتفاع النهار ووهج الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الاكسية من الصوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزّى في المرعزّى الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانية ، والمرعزى في الابريسم الفسوية ، ثم

---

(١) البزيون كعصفور ، السندس ، وقال ابن بري : هو رقيق الديباج [تاج العروس ٩ : ١٣٩] .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) وبالاصل ، المقلس ، وهو تحريف بيّن ، والمفلس بمعنى المنمّم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدنّر ومدرهم أي موشى على صورة الدنانير والدراهم .

(٣) المعيّن ، ثوب في وشيه ترابيع صغار شُبّه باعين الوحش [المخصص ٤ : ٦٧] .

(٤) ابو قلمون ، عرّفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون ألواناً للعيون نقله الجوهري ، وقال الازهري : يتراءى اذا أشرقت عليه الشمس بالوان شتى ، قال : ولا أدري لمَ قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع [تاج العروس ٩ : ٣١] — أقول : لفظ أبوقلمون يوناني معرّب وهو في الاصل Abokalamon — والنسيج المسمى ابوقلمون في المشرق هو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٥) الزِّلِيّة — بالكسر — البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعباب ، وفي مستدرك التاج [مادة زلل ج ٧ : ٣٥٩] والزلال الصافي من كل شيء ، قال ذو الرمة :

كأن جلودهن مموهات على أبشارها ذهب زلال

فكأن المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

الطبرية [١] ، ثم الصوف في الصوف .

وخير الطيالسة الروبانية الطبرية ، ثم الآملية [٢] ثم المصرية ، ثم القومسية [٣] . وخير اللبود الصينية ، ثم المغربية الحمر ، ثم الطالقانية البيض [٤] ثم الارمنية ، ثم الخراسانية .

وخير النمور البربري الموشح الشديد بياضه المشبّع سواده الطويل الوشي السابانى [٥] . وأظرف النمور الذي يكون في وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بينة ؛ وان كان سواده

(١) على ذكر الاكسية الطبرية نقل الجاحظ : ان قيمة الكساء الأبيض الطبري في عصره يساوي اربعمائة درهم والقومسي منها مائة درهم [كتاب الحيوان ٣ : ٨] .

(٢) قوله : الطيالسة الروبانية نسبةً الى الرويان وهي مدينة من نواحي قزوين [الاصطخري ص٢٠٦ — وابن حوقل ٢٦٩] — وكذا الآملية نسبةً الى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم : الاولى عاصمة طبرستان — وهي المقصودة هنا — مشهورة بضأنها وصوفها ومنسوجاتها [المقدسي ص٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١] والثانية مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل .

(٣) القومسية ، نسبةً الى قومس من اكبر مدائن الدنيا ، قال ابن حوقل : ويرتفع من قومس اكسية معروفة تحمل الى الامصار وهي فاشية في جميع الارض [المسالك والممالك ص ٢٧١] — وقال المقدسي : اما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها الفي درهم ، ولهم ايضاً اكسية وطيالسة وثياب رقاق من الصوف [كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] .

(٤) نقل ابو منصور الثعالبي هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها الى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ في كتاب «التبصر بالتجارة» ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحمر ثم الطالقانية البيض » [ثمار القلوب ص٤٣٣] . وتبعه النويري فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب « النظر في التجارة » [نهاية الارب ج ١ ص٣٦٧] وهو تحريف واضح لتشابه مابين لفظ «التبصر» و «النظر» — فليتنبه .

(٥) السابانى ، نسبةً الى السابان ، وهو في الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذي ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود ، وبه شبّه الجاحظ هنا المختار من جلد النمور البربرية ، كان أقرب اليه أن يقول في نعته زرزوري اي في لون الزرزور ، وهو عربي صريح .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

متصلاً بعضه ببعض بشظية من سواد خفيفة كان أظرف له ، واذا كانت فيه حمرة مع بياض يقق وسواد حالك كان أحسن وأبلغ في الثمن ؛ ونمور البربر صغار ومقدار الجلد منها مايغشي سرجاً مفرداً ، ومنتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، واما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان في الثمن ولا يرتفعان ، وخير النمور الوشي ، وخير القطن الابيض اللين الصغار الحبوب اللطيف البياض الصافي .

وزعم ان القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع من الارض [1] : في ناحية المغرب بارض الاندلس ، وفي رستاق يقال له تارم [2] وفي ارض فارس . ولا يعرف هذه الحشيشة وأماكنها الا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة في ماه اسفندارمذ [3] فتيبس تلك الدودة ويصبغ بها الابريسم والصوف وغير ذلك ؛ وخير ما يصبغ في الأماكن بارض واسط .

(١) عرّف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمني بقوله : وهو صبغ أحمر يصبغ منه المرعزّى والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز اذا نسجت على نفسها القز [المسالك والممالك ص ٢٤٤] .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً [الاصطخري ص ١٣١ ومابعدها — وابن حوقل ص ٢٠١ و٢٠٣ و٢٢٦ — والمقدسي ٤٢٣ و٤٢٦] .

(٣) ماه اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية عند الفرس ، واليوم الخامس منه هو « اسفندار مذ روز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعشاب من الجبال والاودية ويتخذون الادهان ويهيئون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من ظهور الفجر الى طلوع الشمس رقية على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران [راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني طبعة ليبسيغ سنة ١٨٧٨ ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» طبع بهامش حياة الحيوان ص ١٢٨ ومابعدها] —

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة في البلاد التونسية من كتب رقاع صغار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الاول من شهر مايو الأعجمي ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعاً للعقارب والحشرات السامّة .

وزعموا ان البَلسان شجر بارض مصر يُشرطُ في ايام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ، وهو مفقود في الارض كلها ماخلا مصر[١] .

وحبّ الزلم[٢] ينبت بارض شهرزور ، وزعموا انه جيد للجماع ؛ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يوجد الا ومعه الدفلى ، وهو نبت يستجير بالدفلى النابتة عنده .يقال له قاذهر[٣] فلذلك غرس معه في موضع يكون به ، وقيل حُمِلا جميعاً من الروم وله قصة عجيبة طويلة .

« باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة والجواري »
« والاحجار وغير ذلك »

يُجلب من الهند : الببور والنمور والفيلة وجلود النمور والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والآبنوس وجوز الهند[٤] .

(١) البَلسان المصري ، قال الاصطخري : وحوالي الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يُعرف بمكان في الدنيا الا هناك [الاصطخري ٥٤] وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة [المسالك والممالك ص ١٠٦] .

(٢) حب الزَّلَم ، عرّفه ابن البيطار بقوله : هو حب دسم مفرطح أكبر من الحمص قليلاً أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيذ المذاق ويجلب من بلاد البربر ، وينبت في ناحية شهرزور ، وقد ينبت منه شيء بصعيد مصر يسمونه بالسقيط [جامع مفردات الادوية ٢ : ٤ : ١٦٦] — قلت وهو المعروف عندنا في تونس بحب عزيز .

(٣) المشهور ان الفاذهر حجر كريم لا نبات كما ورد هنا ، وانه صنفان حيواني ومعدني وهو عند الافرنج Bézoar) واسمه فارسي معرّب وأصله پازهر ومعناه «منفي السم» — وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الاحجار كابن البيطار في مفرداته والتيفاشي في كتاب أزهار الافكار والقزويني في عجائبه وسواهم كثير ، فليراجع هنالك .

(٤) قال ابو منصور الثعالبي : وللبلاد الهند من الخصائص مالم يكن لغيرها فمنها الفيل والكركدن والببر والببغاء والطاؤوس والدجاج الهندي والياقوت الاحمر والصندل الابيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والفلفل وغيرها من العقاقير [ثمار القلوب ٤٢٣] .

ويجلب من الصين : الفرند والحرير والغضائر [1] والكاغد والمداد والطواويس والبراذين الفُرّه والسروج واللبود والدارصيني وادارند [2] الروم الخالص ، ويجلب من أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبريون والابرون والديباج والبراذين الفره والجواري وطرائف الشَّبَه والأقفال المحكمة واللورا [3] ومهندسو الماء وعلماء الحراثة والاكارة وبناء الرخام والخصيان ٠

ومن ارض العرب : الخيل العراب والنعام والنجائب والقانة [4] والأدَم [5] ٠

ومن البربر ونواحي المغرب : النمور والقرظ [6] واللبود والبزاة السود ٠

---

(١) الغضائر ج غضارة هي القصعة أوالصحن الكبير ذوساق يتخذ من خزف ، وارفع الغضائر مايؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعتها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شمّر : الغضار الطين الاحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذي يسمى الغضار ٠ وقال ابن دريد فاما الغضارة التي تستعمل فلا أحسبها عربية محضة [تاج العروس وغيره] ٠

(٢) لفظ « ادارند » هنا لا معنى له ، وأظنه تحريفاً من الناسخ ، ويظهر انه قصد الراوند ٠ قال مرتضى الروند الصيني وهو أنواع اربعة أعلاها الصيني ودونه الخراساني ويعرف بروند الدواب تستعمله البياطرة وهو خشب أسود ، والاطباء يزيدونها الفاً فيقولون «راوند» ولفظه ليس بعربي محض [تاج ٢ : ٣٥٩ و٣٦٠ مادة راد] ٠

(٣) كذا بالاصل ولم أر لها معنى ، ولاشك ان الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا ان يكون اللاذ واللاذة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ [المخصص ٤ : ٦٨] وفي القاموس اللاذة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين ٠

(٤) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب ٠ زاد الازهري ينبت في جبال تهامة ويتخذ منه القسي [لسان العرب] ٠

(٥) الأدَم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره ٠

(٦) بالاصل القرض ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق السلَم تدبغ به الجلود ، وقيل هو السنط يعتصر منه الاقاقيا وهو مما يتداوى به [المعاجم اللغوية] ٠

ومن اليمن : البرود والأدم والزرافات والجواميس(١) والعقيق والكُنْدُر(٢) والخِطْر(٣) والوَرْس(٤) ·

ومن مصر : الحمر الهماليج(٥) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ، ومن المعدن الزبرجد الفائق ·

ومن الخزر : العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر ·

ومن ارض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب ·

ومن سمرقند : الكاغد(٦) ·

(١) كذا بالاصل ولا أخالها الا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد · وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم [المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية في تونس] ·

(٢) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو اللُبان عند الاطباء وغيرهم [تاج ٣ : ٥٢٩] ·

(٣) الخِطر — بالكسر — نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به ، وقال ابوحنيفة هو شبيه بالكتم وكثيراً ماينبت معه واحدته خِطرة [تاج ٣ : ١٨٣] ·

(٤) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول اربعة قد ملأت الدنيا ولا تكون الا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق [كتاب ثمار القلوب ٤٢٥] وقد جعل الناسخ هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ، فليتنبه ·

(٥) على ذكر الحمير المصرية قال الاصطخري : وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شيء من بلاد الاسلام أحسن ولاأثمن منها ، ولهم من وراء اسوان حمير صغار في مقدار الكباش معلة تشبه البغال المعلة ، اذا خرجت من مواضعها لم تعش ، ولهم حمير يقال لها [السملاقية] بارض الصعيد زعموا ان احد أبويها من الوحشي والآخر من الاهلي فهي أسير تلك الحمير [راجع مسالك الممالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧] ·

(٦) كاغَد و كاغِد وكاغذ ، لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي ، ولم يكن الكاغد معروفاً بالمشرق في اول عهد الاسلام وانما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردي المصري أو على الرقوق ، واول ظهور الكاغد في الاسلام كان في سمرقند صنعه هنالك أسارى من الصين أسرهم الامير زياد بن صالح في وقعة اطلخ سنة ١٣٤ للهجرة

ومن بلخ ونواحيها : العنب الطيب والفوشنة[(١)] .
ومن بوشنج : الكبر المربى .
ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية[(٢)] .

فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار في بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنهـا دخل الى اوربا واشتهر — قال ابو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها أنعم وأحسن وأرفق، ولا تكون الا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خيرها والارتفاق بها الى جميع البلدان في الآفاق [ثمار القلوب ص ٤٣١] — وذكر المقريزي في خططه ان جعفر البرمكي هو اول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد في الدواوين [النويري ١ : ٣٦٧] .

أقول : ومن أشهر الاصناف التي كانت تصنع قديماً في العالم الاسلامي : الكاغد الفرعوني تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السليماني نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفري منسوب الى جعفر البرمكي الوزير العباسي ، والطلحي منسوب الى طلحة بن طاهر ثاني امراء بني طاهر ، والنوحي نسبة الى الامير نوح الاول من بني ساسان ، وسوى ذلك كثير ؛ وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية وخصصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيما في القيروان والمهدية — وفي الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها [انظر كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢١ وصبح الاعشى ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦] .

(١) الفوشنة ، ويسميها أبو بكر بن الفقيه الهمذاني [الغوشنة] [كتاب البلدان ص ٢٥٥] ولم نهتد الى معرفة ماهيتها .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمي كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروي وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجاني ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقي الى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، ومما تختص

ومن جرجان : العناب والتدرج وحب الرمان الجيد واليرمق[١] اللين والابريسم الجيد[٢]
ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم[٣] الرقاق والطيالسة من الصوف ·
ومن دياوند[٤] : نصول السهام ·

به مرو الثياب [المحم] [ثمار القلوب ص ٤٣١] — ومن ينسب الى مرو من الرجال يقال له مروزي ومن الثياب مروي [العقد الفريد ٣ : ٢٥٧] · أقول : والمتعارف هو ان النسبة الى مرو الروز : مروزي ، والى مرو الشاهجان : مروي ، للتفريق بين المدينتين ·

(١) لم تقف على معنى للفظ [اليرمق] وكأنه تحريف [النرمق] بالفتح ، فارسي معرب [نرمه] وهو اللين الناعم من كل شيء ، وانشد الليث لرؤبة يصف شبابه ·

أجر خزاً خطلاً ونرمقا ان لريعان الشباب عتهقا

[تاج ٧ : ٧٥] — ويمكن ان يكون ايضاً [يلمق] ج يلامق وهو ضرب من الفراء المبطنة ·

(٢) قال الاصطخري ، ويرتفع من جرجان من الابريسم شيء كثير ، وابريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه [الاصطخري ص ٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣] — وقال المقدسي ، ولاهل جرجان المقانع القزيات تحمل الى اليمن والعناب ، ولهم ديباج دون [أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] ·

(٣) المقارم ج مقرمة وهي الستر ، وعن ابن الاعرابي هي المحبس نفسه يقرم به الفراش قال · وهو ثوب من صوف فيه الوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كلة ، وقد تزين المقارم في اطرافها بالرجائز وهي نسيجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع [المخصص ٤ : ٧٥] أقول · وقد أخذ الافرنج لفظ مقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من الطرز يسمونه Macramé ·

(٤) دباوند — كذا بالاصل وهو عندي تحريف من الناسخ وصوابه [دُنباوند] وهو جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه · وبكرمان مدينة يقال لها [دمندان] وهي مدينة كبيرة واسعة وبها اكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشاذر والصفر ومعدنه بجبل يقال له [دنباوند] جبل مرتفع شاهق في الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ [كتاب البلدان ٢٠٦] ·

ومن الري : الخوخ والزئبق والبيرمق والاسلحة والثياب الرقاق والامشاط والقلانس الملكية والقسيات [١] الكتان والرمان [٢] ٠

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكمثرى الصيني والتفاح والملح والزعفران والاشنان والاسفيذاج [٣] والكحل والسرر المطبقة والاثواب الجياد والشراب من الفواكه [٤]

ومن قومس الفؤوس والأمساح والجتر (٥) والطيالسة من الصوف ٠

ومن كرمان النيلج والكمون ٠

ومن الجور الجوارشن (٦) ٠

---

(١) بالاصل : العسيات ، وعندي انها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب اولاً من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف (راجع النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير] وقال ابن سيده : الثياب القسية تنسب الى قس وهو موضع وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر وقد نهي عن لبسها [المخصص ٤ : ٧٢] ٠

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل الى السلطان مع خراج الري — وهو اثنا عشر الف الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدد مائة الف رطل [ثمار القلوب ٤٢٨] ٠

(٣) الاسفيذاج ، فارسي معرب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف في تونس بالباروق ، وقد أطال ابن البيطار ذكر صنعه وتحضيره فليراجع [جامع المفردات ١ : ٣١] ٠

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من أصبهان الى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها — وهو واحد وعشرون ألف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل الف الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكلها موصوف بالجودة والزعفران بها كثير [ثمار القلوب ٤٢٧] ٠

(٥) الجتر ، فارسي معرب وهي المظلة تتخذ للوقاية من الشمس ٠

(٦) كذا بالاصل والاقرب ان تكون الجواشن ج جوشن وهي الدروع وقد ذكرها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » [فصل محاسن الهدايا] ٠

ويزرقطونا (١) .
ومن بَرْذَعة البغال الفُرَّه (٢) .
ومن نصيبين الرصاص .
ومن فارس الثياب الكتان التوزي والسابري وماء الورد (٣) ودهن النيلوفر ودهن الياسمين والأشربة .
ومن فَسَا الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج .
ومن عُمان وسواحل البحر اللؤلؤ .
ومن ميسان الأنماط والوسائد .
ومن الأهواز ونواحيها السكر والديباج الخز (٤) .

(١) يزرقطونا ، نبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون Psyllium [راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الادوية لابن رسولا طبع مصر ص ١٦ ، و كشف الرموز للجزائري وغير ذلك] .

(٢) قال الاصطخري ويرتفع من نواحي برذعة بغال تجلب الى الآفاق [المسالك ٩٠ !] وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبر الى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى بشهرته عن ذكره [حوقل ٢٤٨] .

(٣) قال الثعالبي جور من كوَر فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو مجلوب الى أقاصي المشرق والمغرب ... وكان يحمل من فارس الى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون الف قارورة [ثمار القلوب ٤٢٧ — وراجع ايضاً الاصطخري ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسي ٤٤٣] .

(٤) السكر من خواص الاهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا يباع على كثرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال ابو الطيب المتنبي

تقضم الجمر والحديد الاعادي ... دونه قضم سكر الأهواز

وكان يحمل الى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز — وهو خمسة وعشرون الف درهم — ثلاثون الف رطل من السكر ، ومما ينسب الى الأهواز من النفائس ديباج تستر وخز السوس ، قال كشاجم يصف الروض

... والصناجات والرقاصات (١) .... وأنواع التمر والدبس والقند (٢) .
ومن السوس، الأترج ودهن البنفسج والشاه سبرم (٣) والجلال والبراذع .
ومن الموصل، الستور والمسوح (٤) والدراج والسماني .
ومن حلوان، الرمان والتين والكامخ (٥) .

كأن الذي دبجت تسر   وطرزت السوس فيه تسر
[ثمار القلوب ٤٢٦] .

(١) حصل هنا ترهل عطل قراءة بعض الكلمات . اما لفظ « الصناجات» الواردة بالاصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولا أخالها الا « النِصاحات » وهي الجلود واحدتها نِصاحة [راجع المخصص ٤ : ١٠١] — وكذا قوله « الرقاصات » فهي عندي « الطرّاحات » ج طرّاحة وهي مقاعد صغيرة مربّعة تطرح في البيوت .

(٢) القَنْد والقَنْدة ، معرّب « كَنْد» وهو عصارة أوعسل قصب السكر اذاجمد وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الافرنج Sucre candi اي سكر مربّى

(٣) شاه سبرم ، ويقال ايضاً شاهسفرم وشاهشفرم ، نوع من الريحان كن يسمى الريحان السلطاني والحبق الكرماني ، واللفظ فارسي معرّب « شاه سيرغم» وهو مما عرّب قديماً لوقوعه في شعر الأعشى [شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ — وكتاب المعتمد لابن رسولا ص١٧٨ وغير ذلك] .

(٤) المسوح ج مِسح ، عن ابن سيده كساء مخطّط يكون في البيت يستتر به ويفترش [المخصص ٤ : ٨٠] ولايخفى ان منسوجات الموصل كانت لها من قديم الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى ان الامم الافرنجية أطلقت عليها اسم Mousseline تذكيراً لاصل موردها .

(٥) الكامخ ، فارسي معرّب وأصله « كامه » ويجمع على كوامخ ، قال الجواليقي الكامخ الذي يؤتدم به [كتاب المعرّب] وقال مرتضى وغيره في شرح الكامخ ومنهم من خصه بالمخللات التي تستعمل لتشهي الطعام Hors d' œuvres [تاج ٢ : ٢٧٦] وكذا شفاء الغليل — أقول والمعنى الاخير هو المقصود هنا ويؤيده ما حكاه الجاحظ نفسه في البيان والتبيين [ج٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢] .

ومن أرمينية واذربيجان ، الأبود ۰۰۰۰ والبراذع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف (١) .

« باب مايختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك » « من جوارح الطير »

خير البزاة البيض مايقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغرابية التي بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحمر المشرقة ، ثم الدبْزَج (٢) .

وخير الشواهين السود الغرابية البحرية ، والبيض الجرجانية .

وكذلك البواشق يستحب منها السود الغرابية البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم الحمر البحرية ، الحُمر البطن والصدر بيكانات (٣) بيض ، المزهر اللون ، الكبير الرأس ،

(١) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذربيجان ، وبهذه البلاد وفي اضعافها من التجارات والمحالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة الى النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الارمنية التي تعمل بسلماس ، تباع التكة من دينار الى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الارض . ثم قال واكثر ما يخرج الى بلاد الاسلام من الديباج والبزيون وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والاكسية الرومية فمن اطرابزندة [المسالك والممالك ص٢٤٦] — وقال الثعالبي وكان يحمل الى حضرة السلطان مع خراج ارمينية كل عام — وهو ثلاثة عشر الف درهم — من البسط المحفورة(؟) ثلاثون بساطاً ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ومن البُزاة ثلاثون بازياً [ثمار القلوب ٤٢٨] .

(٢) الدبْزَج ، فارسي معرّب ديزه بالكسر ومعناه ذو لونين أو هو بين لونين غير خالص [تاج ٢ : ٤٢] ويروى ايضاً ديرج بالراء المهملة [النهاية لابن الاثير ٢ : ٢٢] .

(٣) بيكانات ، فارسي معرّب وأصله « پيكانه » ومعناه واحد والمقصود هنا معلّم بنقط بيض .

الغائر العينين من غير هزال ، العريض المنخرين ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريبة من الدستبان (١) الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين (٢) فذلك غاية (٣) .

وزعموا أن اليؤيؤ (٤) ذكورة الصقور ، والعفصي (٥) ذكورة البواشق وذكورة البزاة بمنزلة اليؤيؤ الصغير .

---

(١) الدستبان ، فارسي معرّب وهو القفّاز من جلد يتخذه البيّاز في يده عندما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٢) كذا ورد من غير تعيين ، والمظنون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعني نحو اربعمائة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر صنتيغرام .

(٣) قال القلقشندي المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب «المصايد والمطارد» الاحمر اللون اذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادها ، سائل الـنُّغعتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممتلي الزور عريض الوسط جليل الفخذين ، قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، مبطط الكف ، غليظ دائرة الخصر ، قليل الريش لينه ، تام الخوافي ، ممتلئ العكوة [صبح الاعشى ٢ : ٥٨] — وقال ايضاً في صفة البُزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم ، المختار من ألوانها الأحمر الاكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر ، والاشهب الشديد الشهبة الشبيه بالابيض ، ، الاصفر المدبّج الظهر — ثم قال ان ذكر البازي يسمى الزُّرَّق [صبح ٢ ص ٥٦ و٥٧] .

(٤) «اليؤيؤ» قال القلقشندي وتسميه اهل مصر والشام الجلَم ، هو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقة ويسموه الجلَم أخذاً من الجلم ، هو المقص تشبيهاً به لان له سرعة كسرعة المقص في قطعه [صبح ٢ : ٦١] .

(٥) «العفصي» طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص — وورد في صبح الاعشى اسم العفصي «بالنقمي» ، في التعليق عليه قال مصححه «العقصي» (؟) وكلاهما تحريف ، والصواب العفصي كما هنا للسبب الذي بينا — قال القلقشندي ، هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس [صبح ٢ : ٥٧] .

وقالت الفرس لا يكاد الفرس والبازي يكونان حسني المنظر لامخبر لها ، ولا حسني المخبر لا منظر لها ، فان اجتمع المخبر والمنظر كان فائقاً .

« باب آخر »

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل عِلق من الجواهر والأحجار اذا كان أصفى وأضوأ فهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية والاهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأفخر ، وكل انسان من الشريف والوضيع اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت اكثر سكوناً وأجمل حالاً وأنزر طعماً وأشكر للناس فهي أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أزكى وأجل فهو أهنأ ، وكل عدو صغيراً أو كبير اذا كان حمياً فهو أعدى وأشد حسداً ، ومن لم يعرف مأواه فمحذور قربه ؛

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا في الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجازوا به وتثابوا ، والقضاء جالب بجلب الامور ، وخير النوم ما يذهب الاعياء والكسل ؛

ومعرفة الاشياء بالخواص الخمس جودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالخيشوم اذا كان طيباً أرجاً ، وبالمذاق اذا كان حلواً عذباً ، وبالسمع ان يكون صافي الوقع والصوت ، وباللمس ان يكون ليناً ناعماً (١) .

وكانت العجم تقول القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراسة الرجل السوء ان يكون منقبضاً

---

(١) ذكر الجاحظ [الحواس الخمس] غير ما مرة في غضون تآليفه المطبوعة ، قال في السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، والمجسة — ولم يقل اللمس [كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩] .

غير منشرح ، وان يُرى لونه الى الصفرة والكمود من غير مرض ، وان يكون طائش القلب ، وان يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً ، وان تراه غليظ اللفظ عند المحاورة .

ومن فراسة الرجل الصالح ان تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهي ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعاً .

وزعم سابور الملك انه ليس ينبغي للعاقل ان يعتد بقول سبعة من الناس بقول السكران ، والدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

تم الكتاب ولله المنة والحمد كما هو اهله
وصلى الله على محمد وآله وسلم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتمة للناشر

—()—

رأينا من المناسب ان نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمذاني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في « ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها » — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب « ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة وغير ذلك » وهو الوارد فيما من رسالته هذه ٠

قال ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه[1] :

ولولا ان الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان واعطى كل اقليم من الاقاليم بشيء منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والأخذ والاعطاء ، الا ان الله عز وجل أعطى كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا الى بلد هذا ويستمتع قومٌ بامتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير ٠ قال الله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا » وقال الله عز وجل « وقدَّرَ فيها أقواتها » ٠

فخص الله — جلَّ وعزَّ — بلاد « السند » « والهند » بانواع الطيب والجواهر كاليواقيت والالماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والكركدن والفيل والطاووس والاعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخولنجان والدارصيني والنارجيل والهليلج والتوتياء والقنا والخيزران والبقم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة ؛ وخص اهل « الصين »

(١) [كتاب البلدان] طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١ ٠

بالصناعات واعطاهم ما لم يعط احداً فلهم الحرير الصيني والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولهم ايضاً مسك الا انه ليس بجيد ، وقالوا انما يتغير في البحر لطول المسافة ؛ ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحذق بالابنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولهم من الديباج الرومي والبزيون ، وفي بلادهم الميعة والمصطكى ، ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمي فهم رماة الحدق ولهم الخيل العجيبة والافراس السابقة ، وفي بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزيهم شبيه بزي العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن ؛ ولاهل « المغرب » البغال البربرية والجواري الاندلسية والنمور الزنجية ؛ ثم ما قد خص به اهل « مصر » من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخيل والتماسيح ولهم السمك الرعاد والاسقنقور ، ولهم الثياب الدبيقية والشطوية والقصب الموزون المسير وغير ذلك من انواع ثياب الكتان والصوف من الاكسية ، ولهم البغال المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرانية ؛ ولاهل (اليمن) الحلل اليمانية والثياب السعيدية والعدنية ، وفي بلادهم الورس والكندر ، ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمانية ، وفي بلادهم القردة والنسناس وغير ذلك من أنواع العجائب ؛ ثم (العراق) قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خصَّ الله جلَّ وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشي والخز وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمور والقسوب ما قد عدم مثله بالبصرة والأهواز وبغداد والحجاز مثل الهَيْرُون والمُشان وقسب العنبر والبَرْنِيان ، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة ؛ ثم قل في عجائب (بغداد) ما شئتَ التي قد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولهم الذي لايشركهم فيه احد الثياب البيض المرْوية والزجاج المحكم من الأقداح والاقحاف والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية ، ولهم الدَّارش والكَّاه خاصة وفيها أعجوبة ؛ وذلك ان الدارش يتخذ من هذا الجانب والكاه من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الدارش ان يتخذ من جانب صاحب الكاه لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب الكاه ان يتخذ في جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، على انهم قد امتحنوا ذلك وجرّبوه ففسد وتعذر عليهم ، وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس الى سر من رأى مع تربتها ومائها وامرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه

الأ الخشن الذي يتكسر ؛ ولاهل كورة دجلة والسواد وميسان ودستميسان من عمل الستور والبسط وعمل الميساني والحرير والدرانك والدورانك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد ؛ ولأهل (البصرة) من النخيل وأنواع التمور ما عدم مثله في جميع كور النخيل ؛ وذكر «الجاحظ» انهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليمامة والبحرين بعمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذ.انها والأهواز وما بهما أيام المعتصم واذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغل معروف وخارجي موصوف وبديع غريب مع طيب عجيب ؛ ولأهل (الأهواز) انواع من السكر والتمور ؛ ولاهل (السوس) خاصة (وجنديسابور) حذق في اتخاذ انواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لاهل (تستر) ؛ ثم (الجبل) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجبن واللوز ؛ ولاهل (همذان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والجامر والطبول المذهبة التي قد فاقوا بها وباتخاذها جميع اهل الارض ؛ ولاهل (الري) الاطباق المدهنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الامشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ؛ ولم الاكسية البيض الطرازية والطيالسة البيض السرية والثياب المنيرة ؛ ثم بغداد الثانية أعني (اصبهان) وما أعطي اهلها من طيب الهواء وعذوبة الماء والحذق بانواع الصناعات ، فلهم الثياب المروية والعتابية والملاحم العجيبة والحلل الابريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية ؛ (ولفارس) فضل في اتخاذ الآلات الظريفة المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على اشياء ظريفة عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عز وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخره لهم حتى عملوا منه ما ارادوا ، فهم احذق الامة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ، ولهم الثياب الجنابية والسينيزية ، ولهم الماورد الجوري والطين السيرافي ؛ الاكسية الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية ؛ ولاهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشبه والصفر ؛ ولاهل (طبرستان) و (الديلم) و (قزوين) حظ من عمل الاكسيه الرويانية والآملية واتخاذ الشستانك والمناديل واشياء كثيرة من انواع ثياب القطن والصوف والابريسم والكتان ؛ ولاهل (جرجان) من الابريسم ماليس عند غيرهم ومنها يحمل الى جميع البلدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولهم حذق باتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغيرذلك ؛ ولاهل (نيسابور) الثياب المحمة والطاهرية ، ولهم التاختج والراختج ولبس هذا الأ لهم ؛ ولاهل (مرو) الثياب المروزية والملاحم الفائقة التي هي اعلى الملاحم ؛ (وبخراسان) فواكه كثيرة مرية واعناب طيبة ، ولهم الزبيب الكشمهاني والكرشمرش وبطيخ بقدد ، وقد كان فيما مضى يحمل بطيخها الى الخلفاء في قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذتها وطيبها (كذا بالاصل) ، ولهم الاشترغاز والانجذان والقوشنة والكيماكان والرخبين والمامين ، وبها معدن الفيروزج واللازورد والركب المروية والثياب السمرقندية ، ولهم الاشكن والخلنج وبها الخنو ؛ (وبالترك) السمور والفنك ؛ (وبالتبت) المسك التبتي والدرق التبتية .

فسبحان من اعطى كل بلد نوعاً من الخيرات وجنساً من الصناعات ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توهم الميت حيا

« من كلمات اللغة »

—*—

كنت وانا أتتبع كلمات اللغة التي توهّم أهل اللسان الحرفَ الزائد فيها أصليًا والتي بنيتُ عليها ثلاث مقالات[1] — كنت أجد أحيانًا كلمات فيها شذوذ في صيغتها ، وقد بنوا شذوذها على التوهم ايضًا ، لكنه توهم عجيب الشكل ، غريب الأمر :

توهمهم في الكلمات التي سردتها في المقالات الثلاث كان توهمًا مبنيًا على مستند ، وله أساس ، أما هذه الكلمات (المكتشفة) فان توهمهم فيها لامستند يستند اليه ، ولا سبب معقول يمكن الاعتماد عليه .

فاذا قلنا لهم : لماذا قلتم (تمنطق) بالميم ولم تقولوا (تنطّق) أجابوا باننا توهمنا أن ميم (منطقة) أصلية فاشتققنا منها (تمنطق) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهذا توهم له مستند وله أساس ، ولصاحبه بعض العذر في مخالفة القياس ، وأما الكلمات الجديدة فانهم خالفوا فيها القياس ، وادعوا ان مخالفتهم مبنية على التوهم ، لكنه (توهم مجرّد) عن العلة والسبب بينما التوهم في كلمات النوع الأول (توهم معلّل) له علته وسببه .

ومحصل القول ان في اللغة كلمات شاذة في صيغتها جعلوها من باب (توهم الحرف الزائد أصليًا) لكنني لم أر لهذا الحامل حظاً من النظر ، وانما هم اعتبروا التوهم فيه بمقياس أوسع مما مر في تخريج كلمات المقالات الثلاث .

(١) راجعها في (م ٥ ص ٢٠٥) و (م ١٠ ص ١٢٩) و (م ١١ ص ٥٣٩) من مجلة مجمعنا العلمي .

ومن تأمل حق التأمل في هذه الكلمات الآتية وجدهم اعتمدوا في اشتقاقها على أصول ميتة اعتبروها حية : ثم اشتقوا منها . فيصح لنا ان نقول انه اشتقاق مبني على (توهم الميت حياً) .

***

رقم (٥١) — (كَنَّة — كنائن) (الكَنَّة) زوجة الابن قالوا في جمعها (كنائن) مع ان القياس أن تجمع على (كِنان) كما جمعوا (جنة) على (جنان) و (خلّة) على (خلال) و (بغلة) على (بغال) و (قصعة) على (قصاع) وكما نجمع اليوم (جُنة) على (جنان) .

هذا اذا لوحظ في لفظ (كنّة) أنه اسم غلب عليه الجمود لا صفة . وكذلك اذا لوحظ فيه أنه صفة من (الكِنّ) بمعنى الستر كان القياس ايضاً ان يجمع على (فِعال) كما جمعوا (صعبة) على (صعاب) و (سمحة) على (سماح) لكنهم لم يجمعوا (كنّة) الا على (فعائل) فقالوا (كنائن) ولما ذا ؟

قال (التاج) «كأنهم توهموا فيه كنينة ونحوها مما يكسَّر على فعائل» اهـ .

وقد حاول الأزهري صاحب التهذيب أن يجعل جمع (كنّة) على (كنائن) مقيساً في كل ما كان على وزن (فعْلة) مضاعفاً . فكان في محاولته هذه متكلفاً متعسفاً . وبقي القول للجمهور الذين يمثلهم صاحب التاج في أن السبب في جمعهم (كنّة) على (كنائن) هو توهمهم ورود (كنينة) على وزن (فعيلة) .

وبيان ذلك انهم لاحظوا في (كنّة) معنى الصفة (كسمحة) و (جلدة) اللتين يقال فيهما ايضاً (سميحة) و (جليدة) ومثلها كثير في صفات الاناث التي على وزن (فَعْلَة) . أما (كنّة) فانها — وان كانت على وزن (فعلة) — لم يقولوا فيها كنينة على زن (فعيلة) .

نعم لم يقولوا ذلك قولاً واقعاً في الخارج لكنهم قالوه قولاً متوهماً في النفس . وقد ظهر أثر هذا التوهم مذ جمعوا (كنة) على (كنائن) لأن (كنائن) على وزن (فعائل) هو الجمع القياسي لما كان على وزن (فعيلة) .

ومحصول القول إن العرب توهموا لفظ (كنينة) الميت حياً فجمعوه على (كنائن) واستغنوا به عن (كنان) القياسي .

(٥٢) — (حَرَّة — أحَرّين) (الحرّة) هي الارض ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار وتجمع على (حرار) و (حرّات) جمعاً قياسياً كما تجمع على (حرّين)

و (حرُّون) اي بالياء والنون والواو والنون جمعاً غير قياسي وانما هو معدود في شواذ جمع المذكر السالم نظير سنين ومئين وأرضين .

فالجموع الثلاثة (حرار ،حرّات ،حرُّون) إما مقيسة وإما غير مقيسة ولكن لها نظائر . وهناك جمع رابع غريب الأطوار : لاقياس يعتمد عليه . ولا نظير يستند اليه . هو (أحرُّون) و (أحرين) يعني بالواو والنون أوالياء والنون على نمط جمع المذكر السالم . وليس في هذا غرابة وانما الغرابة في وجود همزة في أوله فمن أين جاءت هذه الهمزة ؟؟؟

جاءت من قاعدة (التوهم المجرد) وهي التي سميناها قاعدة (توهم الميت حياً) قال صاحب التاج : « من جموع (الحرّة) (أحرين) » وهو على توهم أن له مفرداً على(أحرّة) اه .

يعني انهم توهموا وجود كلمة في اللغة تدل على معنى (الحرّة) وتلك الكلمة هي (أحرّة) بالهمزة في أولها . وبعد ان توهموها توهماً أو يقال بعد ان توهموها حية وهي ميتة — عادوا فجمعوها على (أحرين) . وزاد التاج عبارته السابقة قوة وتأييداً فقال : « قال سيبويه وزعم يونس انهم يقولون حرة وأحرُّون كأنه جمع (أحرة) ولكن لايتكلم بها اه » أي ان العرب لم ينطقوا بكلمة أحرة إذ هي ميتة كما قلنا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الشاهد على مجيء (أحرين) في اللغة فهو رجز قاله (زيد بن عتاهية) وهو من اصحاب علي رضي الله عنه : فان علياً أعطى اصحابه يوم الجمل خمسمائة درهم خمسمائة درهم ولما انهزم زيد المذكور يوم صفين ورجع الى الكوفة ابتدرته ابنته قائلة (اين الخمسمائة ؟) فأنشد :

(إن أباك فرّ يوم صفّين   لما رأى عكّاً والاشعريين)
(وذا الكلاع سيد اليمانين   قال لنفس السوء هل تفرّين)
(لا خمس الا جندل الاحرّين   والخمس قد يجشمنك الأمرّين)
(جزاً الى الكوفة من قنسرين)

فقوله (لا خمس الا جندل الأحرّين) معناه ليس لك خمسمائة درهم وانما لك حجار الحرّات . وقد كنى بذلك عن الخيبة .

هذا ماقاله (يونس) ورد عليه (ثعلب) بان (الأحرّين) ليست جمعاً لحرّة (يعني على توهم أحرّة) بل هو جمع لكلمة (أحرّ) أفعل تفضيل من(الحُرّ) وهو الكريم . فالأحرُّون هي المواضع التي تكون أحرّ وأكرم من غيرها وان جمع (الأحرّ) على (الأحرين)

كجمع (الأكرم) على (الأكرمين) و(الأطيب) على (الأطيبين). لكن (السخاوي) في (سفر السعادة) أيد (يونس) في ان (الأحرّين) بالهمزة جمع (حرّة) من دون همزة ثم طل ورود هذا الجمع بالأيسعنا ذكره هنا. فانت ترى ان جمع (حرة) على (أحرّين) مبني على توهمهم وجود كلمة (أحرّة) في اللغة العربية وهذا التوهم مجرد تحكّم أو هو من قبيل توهم الميت حيّاً.

(٥٣) — (مُمرّ — فهو مسرور ومُسَمّر) جاء في أمثال العرب (كل مُجْرٍ في الخلاء مُسَمّر) أصل هذا المثل أن رجلاً كان له فرس سماه (الأبيلق) وكان اذا خلا به في الفلاة سابق عليه الطير والرياح وكان يُسَمّرُ بشدة عدوه وسبقه في الخلاء حتى خدع بذلك وأدخل أبيلقه في سباق الخيل بل لم يدخله الا يرهن من اول الأمر. وثوقاً بسبقه في الميدان كما سبق في الخلاء. لكن (الابيلق) المسكين سُبق وخسر صاحبه الرهن فضربوا به المثل وقالوا: (كل مُجْرٍ في الخلاء مُسَمّر) اسم مسرور يضربونه لمن يحمد ماني نفسه ولايدري ماعند غيره من الفضائل. والشاهد في هذا المثل كلمة (مُسَمّر) بصيغة اسم المفعول من (أمره) لكن لم يرد في اللغة (أمره) وانما ورد (سَمّره) ثلاثياً فهو مسرور:

إذن كيف قالوا في هذا المثل (مُسَمّر) ؟

أجاب صاحبا اللسان والتاج بما نصه: (قال ابن سيده: هكذا حكي هذا المثل أقأر ابن لقيط: إنما جاء على توهم أمرّ اه).

يعني انهم قالوا (مسر) لا مسرور بناء على توهمهم وجود فعل (أسمر) في لغتهم. ولم يبين لنا ارباب المعاجم سبب هذا التوهم ومعتمده: توهموا الياء في (ميثاق) أصلية لجمعوها على (ميائيق) والياء حية في (ميثاق) ليست ميتة وموجودة غير معدومة اما قولهم في المثل المذكور (مسر) لا (مسرور) فأن (أسمر) ميت غير موجود لكنهم توهموه حيّاً فاشتقوا منه (مسر).

(٥٤) — (أنبته — فهو منبوت): كما توهموا وجود (أسمره) الرباعي فاشتقوا منه (مسر) — توهموا وجود (نبته) الثلاثي فاشتقوا منه (منبوت) مع أن (نبته) ميت غير موجود وانما الموجود (أنبته) (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) فاسم المفعول منه (منبت) لا منبوت. ومن أين جاء منبوت إذن ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اجاب صاحب اللسان في مادة (مسر) وهو يشرح كلمة (مسر) الواردة في المثل السابق بقوله : ومثله منبوت في قول الشاعر :

(وبلد يغفي على النعوت يغفي كاغفاء الروى المنبوت)

(اراد المنبت فتوهم نبته كما أراد الآخر المسرور فتوهم أسره) اهـ

واعلم ان الكلمتين وردتا في (لسان العرب) مصحفتين هكذا (مثبت وثبته) بالثاء المثلثة وهو خطأ وصوابه كما قلنا (منبت ونبته) بالنون كما في التاج والصحاح . ولم يفسر لنا صاحب اللسان معنى قول الشاعر (وبلد يغفي الخ حتى إن مصححه تبرأ من صحة معناه وقال : (هكذا هو في الأصل) .

هذه كلمات اربع (كنائن) (أحَرُون) (مُسَّر) (منبوت) وردت في فصيح كلام العرب ودونت في معاجم اللغة وقد بنوا صحتها على قاعدة التوهم : اي توهم وجود (كنينة) (أحرة) (أسرة) (نبته) مع انها ميتة غير موجودة . وهذا مما يجعل (قاعدة التوهم) واسعة مطردة ، كثير مما كنا نظن ويفسح لنا المجال فنفسر أغلاطاً كثيرة للعرب والمستعربين من الفصحاء الاسلاميين — في هذه القاعدة ونعتبرها صحيحة مقبولة في الاستعمال .

على أن نزاع علماء اللغة حول هذه الكلمات الأربع ونظائرها — لا ينتهي عند حد ما قلته ونقلته في تخريجها وتوجيهها فان هناك دنادن حول امثال هذه الكلمات يمكن ترتيبها — على هذه الصورة :

(١) — قولهم (أحرون) (مسر) (منبوت) واشباهها — مما ورد على لسان رجل واحد من عرب الجاهلية — خطأ ولا عبرة به ولا ينبغي أن يتخذ أصلاً يقاس عليه .

وهذا هو مذهب البصريين الذين هم عمدتنا في اللغة وتقرير قواعدها اما الكوفيون جزاهم الله خيراً فيعتبرون هذا المثال الواحد المخالف للقياس — كافياً في صحته وصحة ما ماثله ونُسج على غراره .

(٢) — ان قولهم (أحرون) (مسر) (منبوت) ونظائرها ليست خطأً بل هي واردة على القياس :

فأحرون إنما هي جمع (أحرة) (ومسر) اسم مفعول من (أسره) ومنبوت من (نبته) . (وأحرة) و (أسره) و (نبته)— مما نطق به العرب حقبة من الزمن اشتقوا في خلالها

كلمات (أحرون ومسر ومنبوث) ثم انهم اخيراً أماتوا الاصول وهي (أحرة) (أمره) و(نبته) فلم يستعملوها وأبقوا على سلالتها — الجمع واسمي المفعول — فاستعملوها في اشعارهم وامثالهم وجاء علماء اللغة فدونوا المشتقات والسلالات وأهملوا الأصول والامهات . ونظير ذلك ما فعلوا في فعلي (حب) و (أحب) مثلاً فان اهل اللسان أحيوا (محبوب) وأماتوا (حبه) الا قليلا وأحيوا (محب) وأماتوا (حاب) ولهذه الإماتة والإحياء نظائر يعرفها اللغوي .

(٣) — إن كلمة (أحرة) وفعلي (أمره) (ونبته) مما نطق به العرب واستعملوه ولم يميتوه لكن أرباب المعاجم أهملوه أو اغفلوه لسببٍ من الاسباب فلم يدونوه في المعاجم كما أغفلوا الكثير الطائل من فصيح كلام العرب حتى ذهب بعضهم الى أن ارباب المعاجم لم يدونوا الا النصف من كلمات اللغة وان ما فاتهم أو صُرفوا عنه اكثر مما ظفروا به أو هُدوا اليه . وذكر ابن فارس في كتابه (الصاحبي) أن علماءنا او اكثرهم ذهبوا الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل قال : ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير انتهى .

وهذا نحو (تبدى) بمعنى ظهر و (معتمد) بمعنى عمده الوجع و (يسوّف) بمعنى يشم الخ وهكذا يقال في كلمات (كنبنة) بمعنى (كنة) و (أحرة) المفرد بمعنى (حرّة) وفعل (أمرّه) وفعل (نبته) بمعنى (سرّه) و (أنبته) فان العرب نطقوا بهـا ولم يميتوها كما تُوهم . وانما أماتها أرباب المعاجم أنفسهم . على ان أرباب المعاجم — وان اماتوها — رأيناهم من جهة ثانية قد أشاروا اليها ودلوا عليها : فلم يبق علينا الا البحث والتنقيب في كتب اللغة التي لم تنتشر ولم تطبع . بل إن هناك مصنفات في غريب اللغة خاصة لم تصل الينا ولم ندر أين مكانها . فلعلنا اذا ظفرنا بها وجدنا كلمات : (كنبنة) و (أحرّة) و (أمرّه) و (نبته) . ويكون شأننا مع هذه الكلمات التي لم تدوّن ونتعب في التنقيب عنهـا شأن علماء الفلك مع نجيمات تدلهم الأرصاد . والمواقع والأبعاد . ونواميس الجاذبية العامة على وجودها في رقعة أو منطقة من السماء معينة وان لم تكن ظاهرة للعيان الآن . ثم لا يلبث ان يصدق ظنهم ويتحقق حدسهم فيعثروا هم أو غيرهم على النجيمة أو الكوكب في الحيّز الذي عينوه ورسموه . وهكذا علماء اللغة قالوا لنا : إن هناك كلمات نطق بها العرب ولم نظفر بها نحن . لكننا وجدنا ما يثبتها ويدل على وجودها فابحثوا عنها أنتم ونقبوا فلعلكم في العثور عليها موفقون .

«المغربي»

فن الجاحظ

- ٢ -

« لغته[1] »

أحاط الجاحظ بخصائص اللغة ووقف على مجاريها ومصارفها وتبحّر في جلائلها ودقائقها فقد ذكرت لكم انه صوّر كل معرض من معارض الحياة ولكن الكاتب اذا شاء أن يصوّر الحياة على هذا الشكل لزمه أن يحب الكلمة وأن يشعر بها كما يشعر بكل جزء من أجزاء الحياة وهذا ما انصرف اليه الجاحظ فكل ما يمكنه الكاتب أن يصنعه بالألفاظ صنعة الجاحظ فقد عرض على ذهنه مفردات اللغة بحذافيرها ثم ألف بينها تأليفاً محكماً ، عرض مفردات العلوم والصناعات ومفردات الحركات والأفكار ومفردات الجد والهزل والخلاصة عرض مفردات العالم بمجامعها . —

أعظم خصائص الجاحظ في هذا المعنى تنفقه في اللغة فهو ينزل اللفظ في منازله ويصبه في قوالبه بحيث لو فتشنا عن لفظ آخر للمعنى الذي يمثله لنا لما وجدنا لفظاً غيره يقوم مقامه أو يسد مسده ، ولم يقتصر في هذا التفقه على باب من أبواب المعاني أو على نوع من انواع الأفكار وانما اعطى المعاني حقوقها من الألفاظ في كل فن من الفنون في الطب والفلسفة والصناعة والعلم وفي غير هذا كله من مذاهب الفكر فلا تجدن في فلسفته الا الفاظ الكم والكيف وما يماثلها من مصطلحات الفلاسفة وكذلك شأنه في كل باب من الأبواب فهو يستعمل لكل معنى من المعاني اللفظ الذي خلق لهذا المعنى فاذا أحب مثلاً ان يصوّر لنا كسر الأعضاء قال : فقأ العين وهشم الأنف وهتم السن ودق العظم واذا

---

(١) هذه آخر محاضرات الاستاذ شفيق جبري وقد شرع في طبعها في كتاب خاص : سماه : الجاحظ معلم العقل والأدب . —

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

احب ان يمثل تجريد الاجسام من اغطيتها قال · سلخ الجلد ونفض الورق وكشطت الشمس جلودهم وكذلك لغته في تصوير فساد الاجسام كقوله : نغلت الجبنة او في تصوير اصوات الحيوان كقوله : شحيج البغل ونهيق الحمار او في تصوير الشرب كقوله : يلغ في الدم او كقوله : الحسو والعبة والنغبة او في تصوير بيوت الحيوان كقوله : الأفاحيص والتاريد الى غير ذلك من خصائص تفقهه فهو آخذ بمخنق اللغة لا يفوته لفظ من الفاظها ولا يغفل عن سر من اسرارها ·—

وإذا عمدتم الى آثار الحياة الخاصة وجدتم ان الجاحظ قد اتقن لغة كل اثر من هذه الآثار مهما كان حقيراً فقد اتقن لغة البخيل مثلاً فيستعمل في تصوير البخل الفاظ البخلاء كالحبات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف واشباهها واتقن لغة الطبيخ كالشواء والانضاج واستحلاب الدسم وتعرق العظم والقفار والمسمون واتقن لغة الطعام بجذافيرها كالشبارقات والأخبصة والفالوذجات وما يقاربها واتقن لغة الماعون كالجفنة الأعشار او القصعة المشعبة او الجرة المكسورة العروة او الحب المقطوع الرأس ·—

انكم لتذكرون ان الجاحظ يميل في فنه الى الصور المحسوسة القريبة من كل حاسة من حواسنا وكما اولع بالصيغة المحسوسة فقد اولع بالالفاظ المحسوسة التي تؤثر في حواسنا فكأنما صاغ لغته ليعرض على انظارنا اشكال هذا العالم الظاهر : عالم الحركات والهيآت والطعام واللباس واضراب ذلك فلستم تجدون في لغته الا امثال قوله : تغمس خراطيمها — يتطوس لها — يتموج في اهابه — يتخلج — تعاريج ريشه — تهاويل الوانه — التوبير الى اشباه هذه اللغة المحسوسة ·—

ومن وآمه بهذه الطبقة من الالفاظ كان الجاحظ لا يتحامى في بعض الأوقات الفاظاً نجدها في عصرنا هذا بارزة عن ظل الطهارة كالفاظ المناكح وما ضارعها ولا عجب في ذلك فان الجاحظ من اصحاب الأدب الواقع ·—

وعلى الرغم من تبحر الجاحظ في اللغة وتفقهه فيها لم يجمد في هذه اللغة فقد تتبع مذاهب الفكر واعطى كل طور من اطوار هذا الفكر حقه من الكلمات فاذا عرضت له طائفة من خصائص بعض الحيوان كالجاموس وكالخنزير او من خصائص بعض الأجسام كالنار اشتق هذه الخصائص من الاسماء نفسها فقال : الجاموسية والخنزيرية والنارية والحيوانية

والجوهرية وعلى هذه الصورة اثبت ان لغة العرب مستعدة للحياة متأهبة لمجاراة اوضاع هذه الحياة ومذاهبها .—

وقد ذهب في هذا كله مذهباً أبعد فلم يتجنب في بعض الأوقات الألفاظ الأعجمية كلفظة : سوارست وامثالها .—

واذا وجدنا في بعض لغته شيئاً من الغموض فقد تكون هذه الألفاظ الغامضة انما هي الفاظ تاريخية وأريد بها الألفاظ التي كانت تدل في عصر الجاحظ او في العصور التي تقدمته على معنى من المعاني كالطعام واللباس والسلاح وما ماثل ذلك ثم ذهب هذا المعنى بذهاب الذين كانوا يستعملونه فبقي الاسم وانطوى المسمى فلا نستطيع ان نتصور الاسم لاننا لا نرى المسمّى ولا نعرفه ، من هذا الشكل أسماء بعض الطعام كالعنب النيروزي والعنب الرازقي أو اسماء بعض اللباس كالقلنسوة الحدرية او اسماء بعض السفن كالجعفرية مثلاً .—

هذا آخر ما خطر بالبال من الكلام على لغة الجاحظ فقد اذكرتم ان اللغة القت الى الجاحظ طاعتها فصرّفها في كل شيء وما أريد ان افرغ من هذا الموضوع قبل ان ابيّن لكم على سبيل الاستشهاد مقدار اهتمام الافرنجة باللغة وبانتخاب الألفاظ .—

قال أناتول فرانس Anatole France في مقال له يحث فيه عن اسلوب لافونتين La Fontaine :

« كان لافونتين يولع بالكلمات ويعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا احسن اختياره للالفاظ ، فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الاصابة في الحكم الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة ، واظن ان الشعب الاول في العالم انما هو الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ ، قد يقع في اغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعانقوا ، ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم يفي بذكر كل شيء .

يحب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على كلمة قديمة ، جزلة المعنى استخرجها من موضعها وضمنها شعره في المقام المناسب .

كان كثيراً ما يقرأ الروايات ، وقد قرأ منها قديمها وحديثها » اه .

وقال رودس Roudès في كتابه الخطيب العصري :

« اما وقد عرفتم كيف السبيل الى استخراج المعاني من مكامنها ، والمعاني هي مادة الخطاب والركن الذي يبنى عليه ، ولولاها لما تمهدت لكم المداخل على الكلام اما وقد عرفتم ذلك كله فقد لزمكم ان تتبسطوا في استظهار المفردات حتى تتمكنوا من الافصاح عما يزدحم في صدوركم من متباين المعاني على اشكال تستعطفون بها القلوب وتجعلون للمعاني رونقاً وحياة :—

اجل فقد لزمكم ان تحفظوا من الألفاظ ما اعان عليه الامكان حتى لا ترتبكوا في الكلام فاذا فاتتكم لفظة من الألفاظ لجأتم الى غيرها واذا وردتم معنى من المعاني تيسر لكم الصدور عنه فبدلتم وعدلتم من غير ان يساوركم شيء من العجز عن ذلك .—

ومن قل حفظه للألفاظ صعبت عليه مذاهب البيان فلا يجد الى الافصاح سبيلاً ، فاذا لم يجتمع في الذهن طائفة كبيرة من الألفاظ التي تضافر على توشيح معنى من المعاني ذهب هذا المعنى من الصدور ، واذا لم تأخذوا انفسكم باستظهار الألفاظ والتعمق في الالمام بمعناها الحقيقي والمجازي ، والوقوف على ما يشاكلها ويجانسها ، وعلى ما يخالفها وينافرها ، اخفقتم ولم تظفروا بحوائجكم من البيان .—

كان الشاعر تيوفيل غوتيه يقرأ على ما يظهر صفحة من معجم لغوي في كل يوم ومن المحتمل ان بلزاك ، وبودلير ، وفلوبر ، وكلهم كتاب واقفون على اسرار اللغة بمجامعها كانوا يمعنون في هذه الكتب الضخمة (المعجمات اللغوية) التي تشتمل على عبقرية الامة وتنعكس فيها مظاهر حضارتها ، على تباينها في متعاقب الاحقاب .—

فمن الصواب على ما اعتقد ان نتقيل طرائق هؤلاء الكتاب فنقرأ في كل يوم صفحة من صفحات المعاجم اللغوية ، فان كثيراً منا يثابرون على تلاوة روايات الجرائد فلم لا نجد من يطالع صفحة من صفحات لاروس Larousse ؟

رب كلمة تمر بذهن رجل ذي مخيلة فتمثل له في ذهنه عالماً بجملته ، او حكاية او نادرة من نوادر التاريخ ، او منحى من مناحي الطبيعة ، او مدينة من المدن ، اوعصراً من العصور ، وليس من السآمة في شيء ان ينتقل الفكر من مبتدإ الازمان الى منتهاها ، ومن

العلل والمقدمات الى النتائج ، ومن هوميروس ، الى هوغو ، وان يجمع المرء من الألفاظ ما ينفعه في غد .—

بيد ان معرفة الألفاظ وحدها لا تكفي المرء مؤنة الابانة عن هواجس فكره على صورة تلائم ، واسلوب يتناسب ، فان من الضروري ان يعرف المرء كيف يصل هذه الألفاظ بعضها ببعض وان يركب منها جملاً صحيحة ، واضحة المرمى ، يسهل على الذين يسمعونها ادراكها وفهم معانيها والسبيل الى ذلك ان يستخرج المرء من الكتب والخطب العبارات الجميلة بانسجامها وتناسقها .—

وعلى هذه الصورة تجمعون لانفسكم مجموعة تضمون اليها في كل يوم طرائف حديثة ترجعون اليها ، فيتدرب ذهنكم على أساليب البيان ، وتقفون على اتصال الألفاظ بعضها ببعض فيكون لكلامكم رقة وطلاوة .—

شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسم الله الرحمن الرحيم

« وبه نستعين (١) »

قد قدمت فيما قبل هذا الجزء من هذه الأخبار عن سبب جمعي لها وأفصحت عن معنى(٢) فيها وكررت ذلك في رسالة كل جزء وان تغيرت العبارة إما تصريحاً او اشارة وأعلمت قارئها ومكرر النظر فيها انها نوع لم

---

(١) «المجمع» أرسل الينا العلامة مرجليوث عضو مجمعنا العلمي في انكلترا هذا الجزء من النشوار لننشره تباعاً في مجلتنا كما نشرنا أخاه الجزء الثامن في مجلد السنة العاشرة ثم نجرده كتاباً مستقلاً . وقد رأينا ان نبقي بعض أخطاء هذه النسخة على حاله لأن في تصحيحه وتأويله تشكيكاً وترديداً يزيدان القارىء حيرة وبلبلة ، على أن في ترك بعض الأخطاء تمثيلاً للنسخة الأصلية ، وتصويراً لها في ذهن القارىء ، ودلالة على ما كانت عليه لغة التخاطب في العهد العباسي لأن كثيراً من تلك الكلمات او الاستعمالات ليس عربياً محضاً وانما هو محدث مولد ، وفي ذلك فائدة يقدرها علماء اللغة والتاريخ قدرها ، وقد يرد في هذه النسخة كلمات فيها سخف وبذاء فضلنا ان نخلي مكانها ، وان نستبدل بياضاً بسوادها . هذا وقد بقي من أجزاء « كتاب النشوار » نحو ثمانية أجزاء لم يعثر عليها بعد ، فنرجو ممن عثر على شيء منها ان يهدينا اليه فيستحق شكرنا وشكر عشاق الأخبار . والمنقبين عن الآثار .

وقد وجد في طرة هذا الجزء قبل البسملة مانصه :

« الجزء الثاني من اختيار المذاكرة ، ونشوار المطالعة ، وابتكار المحاضرة ، للتنوخي »

(٢) لعله : معناي او مغزاي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسبق الى كتبه لانها مقصورة في الأكثر على ان نتذاكر بها لاحتوائها على ضروب من الأحاديث السابقة والسالفة في زماننا التي نُظلم عندي بأن لا نكتب ونضمنتُ خلطها بفنون من طريف اليسير والحكايات وحديث الاتفاقات والمنامات وغريب الرقا والامتحانات وأخبار ضروب الناس من اهل .... والمهن والصناعات والملوك والرؤساء واهل (١)
.... ات وغيرهم من الاخلاط والأوساط وعجيب
.... عاملات وتمليحها بطرف الشعر وجديد
.... ضمني وإياه دهرٌ دون ان يقارب زماني زمانه واشتهر حذقه واحسانه · وشرحت العلة في ترك تبويبها واستفادة خلطها دون ترتيبها · ونبهت على الفوائد التي تتضمن وتجمع واعتذرت مع ذلك الى من لعلها لا تنفق عليه · أو تكسد وتبور لديه : بأن قلت انها على كل حال خير من مواضعها بياضاً وذكرت انها تصلح لمن قد فرغ منا أكثر العلوم واشتهى قراءة ما يدله على أخلاق اهل الأزمنة وسننهم وطرائقهم وعاداتهم وان يقايس بين ما نحن فيه وما مضى ليعلم كيف ماتت الدنيا وانقلبت الاهواء وانعكست الآراء · وفُقدت المكارم · وكثرت المحن والمغارم · وهلك أهل الفضل والتفضل · وتلف أهل الستر والتجمل · وصغرت الهمم · وتلاشت النعم · وفقد الجمال · وعدم النبل والجلال · في أكثر الخصال · وجمهور الرجال · وحقاً أقول لو عاش حكيم من اهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه

(١) هذا البياض موضع تمزيق مبادي السطور في النسخة الاصلية ·

ودفعنا اليه ماشك في قيام الساعة · أوأن الناس بُدّلوا بهائم مهملة · اوجعلوا آلات غير مستعملة · لفقد الاحرار وشدة الاعسار · وبطول المكاسب وتواتر النوائب · وحدوث السنن القبيحة والعوائد السيئة الفضيحة · ونسأل الله العظيم فرجاً عاجلا وصلاحاً للعالم شاملا · إنه سميع مجيب رحيم ودود ذوالعرش المجيد · فعّال لما يريد · وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل والمعين ·

***

حدثني ابو العباس محمد بن نصر الشاهد قال كان ابو عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي كتب الى ابي جعفر بن معدان ان يختار له وكيلاً ينظر له في ضيعته بالأهواز فاختار له عمرو بن محمد الأشجعي صاحبه فنظر في الضيعة سنة ثم ولي الكرخي الأهواز ووردها فطالب الأشجعي بالحساب فرفعه ، وتبعه كاتبه · فخرّجوا عليه فيه ستة آلاف دينار · فأمر الكرخي فلوزم الاشجعي في دهليزه وطولب بالمال ، فكتب الى ابن معدان بخبره · قال فكان رسم الكرخي ان يستدعي اباجعفر بن معدان في كل يوم الى طعامه ، فاستدعاه في ذلك اليوم فتأخر وراسله بأنه من كان صاحبه وثقته واختياره متهماً مسلطاً عليه محالات الكتّاب معتقلاً — لا يستدعى للمواكلة ، قال فامتنع الكرخي من الأكل وأنفذ اليه الأشجعيّ مع كاتب له والحساب وقال والله ما كنت بالذي ادّعي محالاً يستقر على صاحبك وماأخرج عليه الاشيئاً صحيحاً وقد يجوز ان يكون ضيع ذلك ولم يتناوله ولعمري ان من يكون اختيارك وثقتك لايخون ولم يك ملازَماً ، وانما أجلسته انتظاراً لك لتجيء فتدبر امره ،

واذا كان ذلك قد شقّ عليك فمالي لك ٠ وهذا الرجل والحساب إن شئت ان تستوفي لي ذلك او بعضه او تدعه جميعه فافعل ولا تتأخر عني فلست آكل او تجيء ٠ قال فاطلق الاشجعي الى منزله وركب هو الى الكرخي ثم لم يعاود احدهما صاحبه في معنى الاشجعي بكلمة وفاز بالدنانير ومضت القصة على ذلك ٠

***

حدثني القاضي ابوبكر محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن مروان قال حدثني خالي محمد بن هارون قال قال لي بعض أصحابنا قال كنت في بعض الليالي أنظر في كتاب التشريح لجالينوس قال فغلبتني عيني فرأيت هاتفاً يهتف بي ويقرأ « ما أشهدتهم خلقَ السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنتُ متخذ المضلين عضداً » فاستيقظت ومزقت الكتاب ٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

***

وحدثني القاضي ابو بكر قال حدثني مكرم بن بكر قال كنت في مجلس ابي حازم القاضي فتقدم رجل شيخ ومعه غلام حدث فاستدعى الشيخ عليه الف دينار عيناً ديناً فقال له ماتقول فأقرّ قال فقال للشيخ ماتشاء ؟ قال حبسه ، فقال للغلام قدسمعت فهل لك في ان تنقده البعض وتسأله الإنظار ؟ فقال لا ، فقال الشيخ إن رأى القاضي ان يحبسه قال فتفرس ابو حازم فيهما ساعة ثم قال : تلازما إلى ان أنظر بينكما في مجلس آخر ، قال فقلت لابي حازم وكانت بيننا مودة وأنسة — لِمَ أخّر القاضي حبسه ؟ فقال ويحك إني أعرف في اكثر الأحوال في وجوه الخصوم وجه المحق من المبطل وقد

صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطئ ، وقد وقع لي ان سماحة هذا الغلام بالإقرار هي عن بلية وامر يبعد عن الحق وليس في ملازمتهما بطلان حق ، ولعله ان ينكشف لي من أمرهما شيء اكون في الحكم على ثقة ، اما رأيت قلة تغاضبهما في المناظرة وقلة اختلافهما وسكون جأشهما مع عظم المال ، وما جرت عادة الاحداث بفرط التورع حتى يقرّ مثل هذا طوعاً عجلاً بمثل هذا المال قال فبينا نحن كذلك تحدث إذ استوذن على ابي حازم لبعض وجوه تجار الكرخ ومياسيرهم فأذن له فدخل وسلم عليه وسبّب لكلامه فأحسن ثم قال : قد بليت بابن لي حدث يُتلف مالي في القيان والبلاء عند مُقيّن يعرف بفلان ، وأسماه ، فاذا منعته مالي احتال بحيل تضطرني الى غرم له ، وإن عذلته عن ذلك وعدّدت حالي معه طال(١) ، وأقرب اليوم انه قد نصب المقين ليطالبه بالف دينار عيناً ويجعل ذلك ديناً حالاً وبلغني انه قد تقدم الى القاضي فيطالبه فيحبس وأقع مع أمه في بلية وتنغيص عيش الى ان أؤدي ذلك عنه الى المقين، فاذا قبضه المقيّن حاسبه به من الجذور(٢) ، ولما سمعت ذلك بادرت الى القاضي لأشرح له الامر فيداويه بما يشكره الله تعالى عليه ، فجئت فوجدتهما على الباب . فحين سمع ابوحازم ذلك تبسم وقال لي كيف رأيت قال فقلت هذا ومثله من فضل الله عزّ وجل على مولانا القاضي وجعلت أدعو له . فقال عليّ بالغلام والشيخ فدخلا فأرهب ابو حازم الشيخ ووعظ

(١) يعني طال تعدادي من دون فائدة .

(٢) الجذور اجور القيان جمع جذر .

الغلام فأقرّ الشيخ ان الصورة كما بلغت القاضي وانه لاشيءُ له عليه ، واخذ الرجل بيد ابنه وانصرفا .

قال لي القاضي كان مكرم هـذا من فضلاء الرجال وعلمائهم وكنت أرى رجلاً يدعوه اباجدي فقلت له ماغرضك فقال ألست تعلم ان ابا الجدي هو التيس .

***

أنشدني ابو علي محمد بن الحسن بن المظهر الحاتمي قصيدة له في سيف الدولة وهي :

دنوّ فراق خلف الصبر نائيا ووجدمحبّ غادر الدمع جاريا
وقفت بمغني الشوق أنشد أهله فحاكى بلى جسمي هناك المغانيا
حكى نفَسي فيها صباها وأدمعي حياها واعضائي الطلول البواليا

يذكر فيها :

وكفل أرواح العداة الى الوعى حساماً ملياً بالذي رام وافيا
ساصفحه ينبو على ان حده ببيـد أعاديه ويغني المواليـا
كذاالنار تهدي في الضلالة سارياً وتحرق من عادت وتنفع صاليا
جعلت الظبى كأساً تدير دم العدى ووقع الظُبى الالحان والحرب ساقيا
فان كان بيت المال أصبح عاطلاً لديك فقد أضحى بك المجد حاليا

***

أنشدني احمد بن عبدالله المعروف بالبحتري القاضي البغدادي لابي العلاء صاعد بن ثابت قال أنشدني لنفسه :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثنتان من همتي ما ينقضي اسفي عليهما ابداً من خيفة الفوت
لم احبُ منتجع الدنيا بجملتها ولاحميت الورى من صولة الموت

فاجتمعتُ مع ابي العلاء صاعد بعد ذلك بواسط في جمادى الاولى سنة ٣٦٥ فسألته عن البيتين فقال غلط عليَّ وما اخبرته انهما لي فقلت فلمن هما فقال كان ابو الحسن بن ابي داود كاتب الوقف بالبصرة حدثني باسناد ذهب عني ان ملكاً من ملوك الهند حارب ملكاً فقُتل في المعركة فألفاه بعض أصحابه طريحاً بين القتلى وفيه بقية من الروح فنزل اليه فقال هل لك من حاجة فأنشده لنفسه شعراً فُسّر ونقل فكان هذان البيتان في جملة الشعر .

***

أخبرنا ابو القاسم حسين بن محمد بن نبيل : كهل كان من اولاد الجند ببغداد فخرج الى الأهواز وأقام بها يكتب لعلي بن احمد الخراساني حاجب معز الدولة وكان اديباً سماعةً لكتب اهل الأدب وكان إماميَّ المذهب قال رأيت في بيمارستان البصرة رجلاً من الكتاب محبوساً يقول الشعر فأنشدني لنفسه :

أُدافع همي بالتعلل والصبر وأمنع نفسي بالحديث عن الفكر
وارجو غداً حتى اذا جاءني غد تزايد بي همي فيُسلمني صبري
فلا الهم يسليني ولا الغم ينقضي ولا فرح يأتي سوى أدمع تجري
الى الله أشكو ما أُلاقي فانه عليم باني قد تحيرت في أمري

قال وأنشدني ايضاً لنفسه :

أي شيء يكون اقبح منا ... ان نقضنا عهد الاخاء وخُنّا
ان في حرمة المودّة ان نغـ ... ـضي جميعاً عن الخيانة منا
واذا ما أصابنا الدهر بالعيـ ... ـن رددناه بالتغافل عنا

قال وأنشدني لنفسه :

ما بال دمعكِ ابن الدمع ياعيني ... عسى اصابتك عين الدهر بالعين
اني لأجزع من فقد البكاء كما ... قد كنت اجزع قبل البين للبين

***

كان يلزم ابي بالأهواز شاعر يعرف بابي الخير صالح بن لبيب فدخل اليه يوماً وانا حاضر فأعطاه رقعة صغيرة فقرأها ابي وتبسم وامرله في الحال بدراهم وانصرف فأخذت الرقعة فاذا هي تحية وفيها :

يامن أرقّ له السماح ندى ... أضحى به الأحرار في رق
فضلاً سبقت العـالمين به ... والفضل مقصور على السبق
ألزمت نفسك غير لازمها ... وعرفت لي حقين لا حقي

ودخل اليه يوماً شاعر يعرف بالهمذاني لا أعرف اسمه ولا نسبه فدفع اليه رقعة فيها :

كفى القاضي رضاي بما ارتضاه ... ولم أذمم رضاي ولا رضـاه

فأمر له في الحال بجائزة سنية .

أنشدني غير واحد من الشيرازيين للامير عضد الدولة ابي شجاع بن ركن الدولة ابي علي :

بهطّة قصر عن وصفها بابدع الاوصاف بالزور(١)
كأنها في الجام مجلوة لآليٌ في ماء كافور

وله ايضاً :

رأيت بساطاً للزبرجد ناضراً قد ابرز أطرافاً تعد قحافا
قحافاً من البلور ملأى وفرّغا ومجروحة منه رفعن سجافا
تحث كؤوساً للندامى كؤوسها(٢) وتترك احلام الحليم سخافا

وقال ايضاً :

نحرنا بيننا دذا فعاد الليل اصباحا
وداجا(٣) نحر مثل الـ ـغزْ آيين اذا صاحا

...

حدثني ابو العلاء صاعد بن ثابت قال كتب الي القاضي ابو القاسم علي ابن محمد التنوخي جواب كتاب كتبته اليه :

« وصل كتابك :

فشككت وقدجاء الرسول به أن الشباب أتاني بعد ما ذهبا »

« البقية تأتي »

---

(١) الصواب في يتيمة الدهر (٢ : ٣)
بهطّة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
والبهطّة الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء وهي كلمة سندية كما في اللسان .
(٢) لعله سقاتها . (٣) تثنية وداج بمعنى الوَدَج وهما عرقان في العنق ينتفخان عند الغضب .

مطبوعات حديثة

—*—

أمراء الشعر العربي

— في —

« العصر العباسي »

[للاستاذ انيس المقدسي]

٤٣٦ صفحة — المطبعة الأدبية — بيروت سنة ١٩٣٢

اعتادت طائفة من الباحثين في أيامنا هذه أن يصدروا كلامهم على شاعر من الشعراء أو على كاتب من الكتاب بتصوير العصر الذي ظهر فيه هذا الشاعر أو هذا الكاتب وعلى هذه الآثار مشى الاستاذ أنيس المقدسي في كتابه المشتمل على دراسة سبعة شعراء وهم: أبو نواس وأبو العتاهية وأبو تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والمعري ٠—

بحث الكاتب في فاتحة كتابه عن العوامل السياسية في خلافة بني العباس وعن أطوار الحياة الاجتماعية وعن مجاري الحركة الفكرية ٠—

ولكن هل استطاع أن يبيّن مقدار اتصال الشعراء الذين يتكلم عليهم بالعصر الذي صوّره فقد بحث مثلاً عن تجزء دول المسلمين ثم تعرض لبيان تأثير هذا التجزء في الأدب، فما هو هذا التأثير الذي ذكره، ان هو الا مزاحمة حواضر الاسلام لبغداد في الأدب والعلم، ولكن هل يكفي مجرّد ذكر هذا التأثير أفما كان من الواجب على الباحث أن يشير إلى « تطور » الادب في انحداره من بغداد إلى حواضر الأسلام وأن يوضح خصائص الأدب في وحدة المسلمين وخصائصه في تجزء دولهم ٠—

وكأنه أراد أن يتمم هذا النقص فلما بحث عن غارات الروم على أطراف الممالك

الاسلامية أشار إلى أن لحروب الروم أثراً في الأدب ظهر على شعر ابي تمام والبحتري والمتنبي ولكنه لما تكلم على هذا الأثر في شعر المتنبي اقتصر على أن يذكر أن روح الجهاد مستفيضة في كثير من مدائحه في سيف الدولة او انه رأى الجيوش في ساحة الحرب او انه شاهد الابطال ولم يكشف الغطاء عن خصائص هذه الروح فلسنا نعرف شيئاً في كتابه عن مبلغ فن المتنبي في وصف المعارك وعن لغة هذا الفن .—

وكذلك شأنه في كلامه على الحالة الاجتماعية في عصر بني العباس فقد وصف ترفهم أحسن وصف وصوّر بذخهم اتم تصوير ولكنه لما وصل الى الكلام على البحتري تعرّض لمنزلة البحتري في وصف القصر المعروف بالكامل فلم يقل كلمة واحدة في طبيعة هذا الوصف وخصائصه على ان كتابه أدبي ولم يكن تاريخاً من التواريخ فكان من الواجب عليه ان يفيض في الكلام على فن الشعراء مقدار افاضته في الكلام على العوامل السياسية او الاجتماعية او الفكرية .—

فقد اجاد في هذا الكلام وخاصة في كلامه على تطور الحياة الاجتماعية او على الجباية والمصادرة وظهرت على هذا الكلام آثار التتبع والاستقصاء ..

ولكن مباحثه الأدبية قد انحطت عن منزلة مباحثه التاريخية .—

اننا لا نزال في مباحثنا الأدبية بعيدين عن سواء السبيل فلا نعرف كيف نصوّر فن الشاعر وخصائص هذا الفن ولغته وطبائع هذه اللغة وهذه هي الدراسة المتكاملة .—

اما لغة الكاتب في كتابه فقد كانت سهلة في اكثر مواطنها لكن هذه السهولة قد انحدرت به في بعض المقامات الى درجة العجمة كقوله مثلاً :

الشرق الأدنى كان « تحت تأثير » الروح اليونانية

اللواتي « لعبن دوراً »

يتعصبون « ضد » ابناء الاماء

« شكّل » من فتيان الاتراك جنداً

قامت بها « هيآت » منظّمة

(شفيق جبري)

---

(١) كتاب النكاح والطلاق
(٢) كتاب الهبات وأحكام الوصايا والفرائض والأقضية

« ترجمة »

أحمد لايمش ، أستاذ مجلة الأحكام الشرعية في مدرسة تلمسان والمحامي في وهران .— الكتابان طبعا في الجزائر — الأول (٣١١ صفحة) سنة ١٩٢٦ والثاني (١٢٤ صفحة) سنة ١٩٢٨ .—

للامام ابن رشد كتاب : بداية المجتهد ونهاية المقتصد وهو يشتمل على مسائل الاحكام المتفق عليها والمختلف فيها بادلتها والتنبيه على نكت الخلاف فيها .

وقد نقل الى اللغة الفرنسية الأستاذ احمد لايمش بعض كتب من هذا الكتاب منها : كتاب النكاح وكتاب الطلاق ، ومنها : كتاب الهبات وكتاب أحكام الوصايا وكتاب الفرائض وكتاب الأقضية .—

والترجمة تدل على تمكن صاحبها من خصائص المصطلحات .—

شفيق جبري

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

رباعيات الخيام
— تعريب ودبع البستاني —
« مطبعة المعارف مصر »

لاتحتاج رباعيات الخيام الى شيء من التعريف وقد كثر الذين تولوا تعريبها شعراً او نثراً وخلاصة فلسفتها ان صاحبها جاء الى هذه الدنيا اضطراراً ورحل عنها اضطراراً فلم يجد شيئاً يلهو به في هذه الحياة الا الخمر والمرأة فالدنيا عدم والآخرة عدم ، لكن هذه الفلسفة لاتخلو من هزء بعز السلطان ومن تقلب في يقين وارتياب .

اما التعريب نفسه فأحسن صفاته أنه مفهوم والكتاب قدطبع طبعاً غاية في الاتقان .—

شفيق جبري

(١) العبرات الملتهبة
(٢) على مذبح الوطنية

— بقلم —

« الياس قنصل — يونس آيرس — ١٩٣١ »

« ديوان شعر — جزآن صغيران »

صاحب هذه النفثات شاب في مقتبل العمر خرج من وطنه سورية فاستقرت به النوى في اميركا فاضطرب قلبه فالتمس له متنفساً يتنفس منه فلم يجد غير مناجاة الطبيعة ، فتارة كان يشكو اليها حبه فتفيض هذه المناجاة بعاطفة قلقة وشعور عاص ، وتارة كان يحن الى وطنه فينفم على الطبيعة نغمة فيها جزع الشباب .

وقصائده : على مذبح الوطنية ، تشتمل على عواطف وطنية تفصح عن رغبة صاحبها في نهضة بلاده .—

شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحفوظات المختارة — والموجز في علم المنطق

من اشرف من كتب على سير اللغة العربية في هذه الآونة يغتبط حين يرى هذه اللغة المحبوبة نفضت عنها غبار الخمول ومزقت نسيج العناكب المخيم فوق غارها الذي آوت اليه بعد ان استحذي سلطانها .

لقد قيض الله لها طائفة من ابنائها المخلصين فشمروا عن ساق الجد ومهدوا لها السبيل فنشطت من عقلها واخذت تحتذي على مثال اللغات الحية وتترسم خطواتهن في التقدم والتوسع .

ولا يكاد يمر حين من الدهر الا نرى فيه أسلوباً جديداً وطريقاً طريفاً وكتاباً حديثاً يسد فراغاً في خزانة اللغة الشريفة ولئن ظلت ردحاً من الزمن على مثل هذه الحالة فلا تلبث بعد قليل ان تعود الى سيرتها الاولى وتبلغ مستوى اللغات الحية .

وآخر ما انتهى اليّ من الكتب المخيرة للمدارس . كتب المحفوظات . وكتاب الموجز في علم المنطق .

« المحفوظات المختارة »

اربعة اجزاء الفها لطلبة المدارس الابتدائية الاستاذان الفاضلان السيد احمد علي عباس المفتش بوزارة المعارف المصرية والسيد عباس حسن المدرس بالمدارس الاميرية وقد اشتملت هذه الأجزاء على قطع مخيرة من نظم ونثر من كلام البلغاء في هذا العصر وغيره في اغراض مختلفة بأسلوب يستهوي افئدة الطلاب ويوائم مداركهم وهي مطبوعة طبعاً متقناً بحرف واضح مشتملة على صور تصبي نفوس الأحداث ويقع الجزء الأول منها في نحو ٤٩ صفحة والثاني في ٤٠ والثالث في ٦١ والرابع في ١٠١ ولا تكاد تجد فيها مغمزاً الا امرين :

١ — قصر ما فيها من النشيد والتغني والترنم والوصف والحنين و ٠٠٠٠ على مصر دون غيرها . ومن حق العربي ان يكون له وطن عام وهو جميع البلاد التي يقطنها ابناء جلدته وان يحن اليها كما يحن الى وطنه الخاص ويتغنى بذكرها وماضيها وانجادها وامجادها كما يتغنى بمن في وطنه الخاص . حتى لا تنفصم الأواصر التي تربطه بقومه ولا ينشأ على الجهالة بها .

٢ — لم يكن للأمثال نصيب في هذه الكتب ولا لشيء من الشعر الموثوق بعربيته على كثرة ما فيه من السهل . مع ان ذلك يكون ذخيرة للطالب يستطيع ان يطبع على غراره عند الحاجة الى ذلك .

« الموجز »

اما كتاب الموجز في علم المنطق فقد وضعه الاستاذان الفاضلان السيد محمد حسنين عبد الرزاق المدرس بمدرسة المعلمين العليا في مصر والسيد عباس حسن المدرس بمدرسة الناصرية .

واني لا ازال على ذكر من العهد الذي تعلمت فيه المنطق ولا ازال اذكر ما كنت أكابده من الصعوبة واستفرغه من الجهد في تعلمه وتفهمه . لصعوبة المنهج الذي كان المتقدمون ينهجونه .

ولقد رأيت كتاب الموجز : مهد للطالب مسلكاً جدداً جعل منه هذا العلم على

طرف الثام كما جعل مباحثه متسقة متناسقة آخذاً بعضها بحجز بعض كل ذلك باسلوب رشيق وترتيب أنيق • ومن المفيد جداً ان يضاف الى مافيه من المباحث مباحث أخرى لا يستغني الطالب عن الإلمام بها ولو قليلا •

منها : بحث اللزوم • لشدة الحاجة اليه ولذكره كثيراً عند الكلام على لزوم النتيجة للمقدمتين الصغرى والكبرى •

ومنها : التعريف بالعرض العام مع الخاصة • او مع الفصل • وبالفصل والخاصة فان الأول اقوى من التعريف بالخاصة وحدها • والثاني اقوى من التعريف بالفصل وحده • والثالث اقوى من هذا الثاني على ما حققه السيد الشريف •

ومنها : ذكر المشترك وما يقابله • فقد ذكر في ص ١٠١ عند الكلام على استعمال اللفظ الواحد في معان مختلفة • ولم يعرّف تعريفاً وافياً •

ومنها : ذكر التناقض ولو بصورة مجملة • وذكر العكس اكثر مما ذكر وقد سلك المؤلفان سبيلاً محموداً مفيداً في ذكر الاسماء والاشارة الى مايقابلها في اصطلاح المتقدمين • وذلك يسهل على الطالب فهم كتب المتقدمين عند الرجوع اليها •

ولو ذكر في مباحث (التفسير) ما يوافق او يرادف الوارد فيه • مماذكره الاصوليون في مباحث العلل • من السبر والتقسيم وتحقيق المناط وتنقيحه • او اشير الى ذلك لكانت الفائدة أجل وأجزل لأن الطالب يبقى على صلة مع المصطلحات القديمة ونحوها • وكلما أحكمت الصلات بين القديم والحديث كثرت فائدة الطالب من الكتب القديمة • وقلت المترادفات التي يشكومنها أكثر العلماء والأدباء في العصر الحاضر •

وبعد هذا فإن الموجز أفضل كتاب أخرجه هذا العصر في هذا العلم • ولعل وزارة المعارف الجليلة في الدولة السورية تقرر هذا الكتاب لمثل الصف الذي قرر له في مصر فتحسن إلى العلم والأمة عامة وإلى طلاب الفلسفة خاصة •

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً مصحح منقح لا يكاد الواقف عليه يجد فيه شيئاً من الخطإ إلا قليلاً مثل قوله :

في ص ٢٠ — المصادقات • والصواب الماصدقات •

وفي ص ٤١ — حكمنا على عمر بالشجاعة .. وسياق القول يقتضي أن يكون حكمنا على عمر بالعدل وعلى علي بالشجاعة .

وفي ص ٦٧ — نظروا في كل ما حاطها كأ شبابها . والأولى ما احاط بها .

وفي ص٧٢ — (كلمة طبيعية) عربية فصيحة . والمشهور في باب النسب ان ما كان على فعيلة يقال فيه فعلي أما ما جاء باثبات الياء كالسليقي في النسبة الى سليقة فهو شاذ لايقاس عليه كما ذكر ذلك في شرح المفصل وغيره وفي ألفية ابن مالك وفعلي في فعيلة التزم .

ومنها قوله في ص٧٤ — من اعرف الارقام ... وقوله بعده . ان يدعي لمعرفة . والظاهر أن الألف سقطت من المعرفة الى قوله اعرف .

ومنها في ص ٧٨ — بعد نضوج ... والظاهر أن الواو زائدة لان مصدر هذا الحرف لم يجيء على فعول .

ومنها في ص ١٠٣ — مع بقاء السبب . والصواب السلب . ونحو هذا مما لا يمس قدر هذا الكتاب الجليل ولا يشوه نضرته ورونقه .

وانا لنسدي الشكر الجزيل لهؤلاء الأفاضل لخدمة هذه اللغة خدمة صادقة قائمة على حكمة صحيحة وعلم جم وذوق سليم .

سليم الجندي

« الخطرات »

« كتاب ادب واخلاق واجتماع بقلم وداد سكاكيني وهو يقع في ١٨٠ صفحة »
« من القطع المتوسط والحروف الكبيرة »

جمعت المؤلفة الفاضلة في هذا الكتاب مقالات دبجتها يراعتها في موضوعات مختلفة وهاك عناوين بعضها :

« الشاعر ، الأدب العربي ، تطور المرأة ، الفجر ، الأمل والموت ، ذكرى النبي ، الاخلاق والمدنية الحديثة ، الأطفال والأسرة ، الخنساء ، الثروة والعمل الخ » .

وقد نظرت الى الكتاب نظرة من يستقصي المادة في مقالاته ويتعرف الى مراعف اقلام المؤلفة ومقاطرها ويستجلي الروح التي اوحت اليها بتلك المقالات .

فاما مادة الكتاب فضعيفة وجدير بمن يكتب في الأخلاق والاجتماع ان يدرس بإمعان كتب فلسفة الأخلاق وفلسفة علم النفس والاجتماع وان يقتبس منها في مقالاته حتى يتميز عن غيره بغزارة المادة . ولم اجد من حيث الأدب تلك الصور الدقيقة والافكار العميقة التي يتفاضل بها الكتاب . ويبدو ضعف المادة جلياً في المقالة التي عنوانها « الثروة والعمل » فإن هذا الموضوع المادي لا يعالج بالأخيلة الشعرية .

واما لغة الكتاب فجيدة إجمالاً . ولا شك ان انشاء المؤلفة الفاضلة يفوق انشاء عدد كبير ممن يسمونهم ادباء و كتاباً . ومع هذا وجدت في ثنايا الكتاب هنات تفيد الاشارة الى بعضها كقولها في ص ٤١ « يأخذ بناصية اعجابنا ؟ » وفي ص ٥٩ « جمال الطبيعة البري » افلها جمال مجرم ام لا بد من ترجمة Innocent التي يستعملها الفرنسيون في هذا الصدد . وفي ص ٦٥ « اقبل على تلك المظاهر الجديدة كرهاً عنه » والصحيح كَرْهاً او كارهاً او مكرهاً او على تكرُّه الخ . وعدت فعل أثر بعلى في عدة مواضع (ص ٨٨ و ١٠٦ و ١٠٧) . وهو يتعدى بفي . وفي ص ١٢٩ « كان لنبيهة نخبة راقية من الصديقات والصواحب ترتاح لحديثها وتستزيدها منه » ولعلها تريد ان تقول ترتاح لحديثها ويستزدنها منه . وفي ص ١٧٢ « فجرح رفضها هذا إياه الأمبراطور » قلت لقد ذكرتني هذه الجملة بقولهم « جرح تواضعه » ترجمة للجملة الفرنسية Blesser sa modestie وهي كلها تجرح فؤاد المطلع على بيان هذه اللغة ...

والروح التي اوحت الى المؤلفة بتلك المقالات هي روح عالية لأن صادق الوطنية وحب اللغة العربية والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة كلها تتجلى في تضاعيف الكتاب .

مصطفى الشهابي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الجيش العرمرم

طبع سنة (١٣٣٦ هـ) بالحرف المغربي ، مؤلفه الشيخ الوزير الكاتب ابو عبدالله محمد ابن احمد كنسوس القرشي السوسي المراكشي[1] المتوفى بمراكش سنة (١٢٩٤ هـ) .

موضوعه : تاريخ دولة الاشراف العلويين الذين اعترف لهم اهل إفريقية بشرف النسب العلوي منذ عهد جدهم الشريف علي بن الحسن بن محمد بن الحسن العلوي الداخل الى المغرب في القرن السابع للهجرة وقد استقصى بيان تاريخهم لا سيما السياسي الى سنة (١٢٨٢ هـ) .

وقلما يغني عنه كتاب في ذلك لأن المؤلف واسع العلم كثير الاطلاع تقلد الكتابة والوزارة مراراً فتسنى له أن يقف على كثير من الشؤون التي تشتد حاجة التاريخ اليها .

وفي كتابه شعر كثير وترسل جميل يليق بموضوعه لو لم يتخلله شيء من السجع فيه ما فيه .

وقد ألم استطراداً بتاريخ أشهر دول الاسلام في الشرق والغرب واستهل كتابه ببحث رائق في بيان فضل التاريخ وحقيقة الامامة والفرق بينها وبين الخلافة والملك ، واختتمه باسهاب في صفات الملك العادل منها ما كتبه الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز . وله مصطلحات خاصة تعين على الاختصار في تعريف الاحوال التاريخية العامة كقوله في عنوان تاريخ صدر الاسلام : اللواء الاول الابيض الاكبر ، راية يزيد بن معاوية زرقاء ، راية عبد الملك بن مروان حمراء شديدة الحمرة .

والكتاب على كثرة محاسنه لم يخل مما يوجب نقده — والعصمة لله وحده — فهاجت بمؤلفه ثورة عاطفة شديدة جعلته يحمل على الامير عبد القادر الجزائري الكبير حملة منكرة بعيدة عن الحق جداً ولعل عذره في ذلك ان المفاخرة حرمان والعين لا ترى نفسها .

عبد القادر المبارك

عضو المجمع العلمي العربي

---

(١) ترجمته في كتاب فواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمان . المطبوع سنة (١٣٤٦) هـ للكاتب الأديب محمد غريط .

الحكيم ابو نصر الفارابي[1]

لا خلاف بين المؤرخين في أن اسم الفارابي (محمد) وانه ملقب (بابي نصر) وقد اختلفوا بعد ذلك في نسبه ، فمنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان كما في (عيون الانباء) لابن ابي أصيبعة ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ كابن خلكان ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان كالقفطي والبيهقي ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان كابن النديم في (الفهرست) ، ومنهم من يقول : هو ابو نصر محمد بن محمد بن نصر كصاعد في (الطبقات) ويقول صاعد في موضع من كتابه أبو نصر محمد بن نصر .

فلا اتفاق على تسمية آبائه ولا على ترتيبهم ، واذا كان اسم ابيه موضع خلاف فلا غرو أن احداً من المؤرخين لم يشر الى اسم أمه ولا الى نسبها .

واكثر المترجمين للفارابي يذكرون أنه تركي لكن صاحب طبقات الأطباء يقول : (وكان ابوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب) ولا سبيل الى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلادين واشتراك الأعلام فيها ، واذا صح ان أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ .

ولعل فيما امتاز به الفارابي من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بانه سليل أبطال .

ولم يقف الخلاف في أمر الفارابي عند حد التضارب في نسبه فقد اختلف المؤرخون في وطنه الأول ايضاً .

---

(١) للاستاذ المحقق الشيخ مصطفى عبد الرازق من اعضاء المجمع العلمي العربي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والفارابي منسوب الى (فاراب) ولم يشذ عن القول بذلك الا ابن النديم في الفهرست فانه يقول : أصله من الفـاريـاب من أرض خراسان ، والا البيهقي في كتابه المخطوط في تاريخ الحكماء فانه يذكر أن الفارابي من فارياب (تركستان) لان النسبة الى فارياب هي : فاريابي ٠ وقد ذكر معجم البلدان أسماء جماعة من الائمة نسبوا اليها : منهم محمد بن يوسف الفاريابي ٠

وفاراب التي ينسب اليها فيلسوفنا وتسمى (باراب) ايضاً هي ناحية كبيرة واسعة وراء نهر جيحون (أموداريا) كذا يقول ياقوت عند الكلام على (باراب) ولكنه يقول عندذكر فاراب : « ولاية وراء نهر سيحون » (سرداريا) في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم الا أن بها منعة وبأساً وهي ناحية سبخة لها غياض ولهم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر (الشاش) والشـاش هي مدينة بما وراء النهر ثم ماوراء نهر سيحون متاخمة لبـلاد الترك ٠ ويتبين من ذلك ان لا خلاف بين عبـارتي ياقوت فان (فاراب) وراء نهري جيحون وسيحون معاً ثم ان فاراب على جانبي الفرع الاكبر لنهر سيحون وهي في طرف بلاد الترك (تركستان) ٠

ويقول ابن حوقل الذي ظهر نحو سنة ٣٦٧ هجرية ٩٧٧ ميلادية أن على الشاطيء الغربي من سرداريا كانت توجد مدينة (وسيج) التي ولد بها الفيلسوف أبونصر الفارابي ٠

والمستشرقون يعتمدون هذا القول لكن كثيرين من مؤلفي العربيـة كالقفطي وابن ابي أصيبعة وابن خلكان صرحوا بان الفارابي من مدينـة (فاراب) وقال ابن خلكان أن هذه المدينة تسمى لعهده (أطرار) ويقول الاستاذ (بارتولد) في الفصل الذي كتبه في دائرة المعارف الاسلامية : « ان الاصطخري الذي وجد في أوائل القرن العـاشر يذكر أن قصبة ولاية فاراب كانت مدينة تسمى (قدر) في شرق نهر سرداريا على نصف فرسخ من مجراه وعلى الشاطيء الغربي من هذا النهر على فرسخين دون (قدر) توجد (وسيج) التي هي حصن صغير ٠

اما المقدسي الذي نبغ في أواخر القرن العاشر الميلادي فهو يذكر ان قصبة (فاراب) كانت تسمى باسم الولاية وعنده أن (قدر) مدينة حديثة النشأة ٠

ويرجع الاستاذ (بارتولد) أن تكون فاراب التي لم يذكرها ابن حوقل ولا

الاصطخري هي المدينة الحديثة النشأة اما (قدر) فهي المدينة القديمة و (أطرار) هي نفس مدينة (فاراب) وهي أحدث منها » .

وعلى ذلك فالراجح أن الفارابي ولد بوسيج كما ذكره ابن حوقل ونسب الى ولاية (فاراب) لا الى المدينة المسماة بهذا الاسم التي حلت محل مدينة (قدر) ثم حلت محلها (أطرار) .

ولسنا نعرف مولد الفارابي الا بالتقريب استنتاجاً مما ذكره المؤرخون في وفاته فقد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ — ٩٥١ م) وقد ناهز ثمانين سنة ويكون إذاً مولده حول سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٢ — ٨٧٣ م .

ولا يعرف شيء عن طفولته وشبابه انما يقول المؤرخون : انه خرج من بلده وانتقلت به الأسفار الى ان وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي فتعلمه وأتقنه ثم اشتغل بعلوم الحكمة على ابي بشر متى بن يونس وهو مسيحي نسطوري معروف بين تراجمة الكتب اليونانية واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وعلى الطبيب المنطقي المسيحي يوحنا بن حيلان ولم يذكر له المؤرخون أساتذة غيرهما .

واذا كنا لا نعرف التاريخ الذي خرج فيه الفارابي من بلده ولا التاريخ الذي وصل فيه الى بغداد فانا نستطيع ان نتلمس بعض هذه التواريخ استنباطاً من ثنايا كلام المترجمين للفارابي .

ويقول صاعد في « طبقات الأمم » (أخذ أي الفارابي صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر) والخليفة المقتدر توفي سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢م ويقول ابن خلكان : ان الفارابي ارتحل من بغداد الى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان فأخذ عنه طرفاً من المنطق . ويؤخذ من ذلك أن يوحنا كان يشتغل بحران أولا ثم انتقل الى بغداد ومات بها قبل سنة ٣٢٠ هـ .

اما ابو بشر متى بن يونس فقد كان شيخاً كبيراً يقرأ في بغداد كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه فحضر أبو نصر دروسه زمناً قبل انتقاله الى حران ولعلنا نستطيع أن نقدر زمن درسه ببغداد ثم اشتغاله بحران ثم انتقال أستاذه يوحنا بن حيلان الى بغداد ومقامه فيها الى أن مات بنحو عشر سنين فيكون دخول الفارابي الى

بغداد لأول مرة حوالى سنة ٣١٠ ﻫ ولا يكون هذا الفرض جزافاً اذا راعينا ما ينقله ابن ابي أصيبعة من أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق وابو بكر بن السراج توفي سنة ٣١٦ ﻫ فلا بد أن يكون تبادل التعلم بينه وبين الفارابي قبل وفاته بست سنين على الأقل خصوصاً اذا روعي مالاحظه بعض زملائنا المشتغلين بدراسة تاريخ النحو من أن ابن السراج قد تأثر في مؤلفاته النحوية بأساليب المنطق وقواعده ·

قد خرج الفارابي اذاً من بلده قاصداً الى بغداد حوالى سنة ٣١٠ وهو يومئذ يناهز الخمسين لحضر دروس ابي بشر متى في المنطق وتعلم في اثناء ذلك العربية عن ابن السراج في مقابلة تعليمه المنطق ·

والظاهر أن الفارابي حين وصل الى بغداد لم يكن جاهلاً للعربية ولا للعلوم الحكمية كما يفيده كلام المؤرخين فليس من المعقول أن الامام ابن السراج المجمع على فضله وجلالة قدره في النحو والأدب يتعلم المنطق عن ناشئ يتلقى دروسه الاولى ثم يتأثر عقله بأسلوب هذا الناشئ وتعاليمه وليس بالمعقول أن من يجهل اللغة العربية يبتدئ بتعلم ألفها وبائها عن ابن السراج · انما خرج الفارابي من بلده ليتصل بأئمة الحكمة والعلم في العراق والشام تكميلاً لما عنده من العلم والحكمة ·

وقد ذكروا انه انما أخذ عن ابي بشر متى بن يونس وعن يوحنا بن حيلان علم المنطق وأخذ العربية عن ابن السراج فكيف تعلم الرياضيات وقد قالوا انه كان رياضياً بارعاً ؟ وكيف تعلم الموسيقي وقد كان يحسنها تلحيناً وتوقيعاً حتى ليحكى كما في ابن خلكان « ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو اول من ركبها هذا التركيب · ويقول غير ابن خلكان انه وضع آلة تشبه القانون وكتابه في الموسيقى اشهر كتب الفن كما انه كان في صباه يضرب بالعود ويغني » ويقول « كاراده فو » في دائرة المعارف الاسلامية : ان دراويش المولوية لا تزال تحتفظ باغانٍ قديمة منسوبة اليه ·

ثم انه كان له بالطب معرفة بل ذكر بعضهم انه مارسه عملاً ، وأنكر ذلك آخرون · فهل تعلم كل هذه العلوم وهي لا تستغني عن موقف الا قبل مجيئه الى بغداد ؟ ؟ ؟

ثم انهم ذكروا انه كان يعرف لغات كثيرة عند قدومه الى بغداد ورووا أساطير تدل

على انه كان يعرف سبعين لغة ومع ما في ذلك من الشطط فانه لايخلو من اثر الحق اذ هو بالضرورة كان يعرف التركية ولعله كان يعرف الفارسية وقد اتقن العربية وهو يتحدث في بعض كتبه عن اللغة اليونانية حديث خبير بها فهل يضطلع بعلم هذه اللغات الا الرجل العليم ؟ ؟

بعد ان قضى الفارابي وطره من دروس ابي بشر متى يحول عن بغداد الى حران فأخذ عن يوحنا بن حيلان المنطق أيضاً ثم انه قفل راجعاً الى بغداد وكما يقول ابن خلكان وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها ويقال انه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه بخط ابي نصر الفارابي: اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة . ونقل عنه انه كان يقول : قرأت السماع الطبيعي لارسطاطاليس الحكيم اربعين مرة وأرى اني محتاج الى معاودة قراءته . ويذكر ابن خلكان ان الفارابي الف في بغداد معظم كتبه .

ثم انتقل الفارابي الى الشام ثم توجه الى مصر وعاد الى الشام واتصل هناك بسيف الدولة ابن حمدان الذي عرف له فضله وأكرم وفادته فعاش في كنفه حتى مات .

وكلام المؤرخين مضطرب في امر هذه الانتقالات وقد أورد ابن خلكان في كتاب « الوفيات » أن ابا نصر ذكر في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية انه ابتدأ بتأليفه في بغداد وأكمله في مصر .

وليس في كتاب السياسة المدنية المطبوع شيء من هذا .

وذكر ابن أبي أصيبعة انه ابتدأ بتأليف كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة والمدينة الضالة ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ٣٣٠ هـ وتممه بدمشق في سنة ٣٣١ هـ وحرره ، ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولاً تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة ٣٣٧ هـ .

وذكر ابن ابي أصيبعة في موضع آخر من ترجمته ما نصه : « ونقلت من خط بعض المشايخ أن ابا نصر سافر الى مصر سنة ٣٣٨ ورجع الى دمشق وتوفي بها سنة ٣٣٩ » .

والظاهر ان الفارابي رجع من بغداد الى دمشق سنة ٣٣٠ وهي السنة التي حصل فيها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وباء ببغداد وغلاء مفرط حتى اكل الناس الجيف وفيها حدثت فتنة البريدي .

وأقام بدمشق في شظف من العيش وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة ، قال ابن ابي أصيبعة نقلاً عن الآمدي : ان الفارابي كان في اول امره ناطوراً في بستان بدمشق وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع الى آراء المتقدمين وشرح معانيها .

وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل الذي للحارس وبقي على ذلك مدة .

وملك سيف الدولة حلب سنة ٣٣٣ وبسط حمايته على العلم والأدب فقصد اليه الفارابي فآوى منه الى ركن شديد .

ثم انه عظم شانه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه ......

وقد عاش منذ ذلك الحين في كنف سيف الدولة منقطعاً الى التعليم والتأليف غير منقطع عن الأسفار التي كان بها مغرماً وبلغت به أسفاره الى مصر ، ثم رجع الى الشام ولعله كان ينتقل بين حلب عاصمة الحمدانيين ودمشق التي كانت تدخل في حوزتهم تارة وتخرج أخرى الى ان توفي بدمشق سنة ٣٣٩ وصلى عليه سيف الدولة في اربعة من خواصه أو خمسة عشر ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كذلك ذكر المؤرخون وفاة ابي نصر وكلامهم يدل على انه مات بدمشق موتاً طبيعياً لكن البيهقي في كتابه المخطوط الموجود بدار الكتب المصرية المسمى « تاريخ الحكماء » روى عن موت الفارابي رواية هذا نصها :

« وقد سمعت من أستاذي رحمه الله ان ابا نصر كان يرتحل من دمشق الى عسقلان فاستقبله جماعة من اللصوص الذين يقال لهم (الفتيان ؟) فقال لهم ابو نصر خذوا ما معي من الدواب والأسلحة والثياب وأخلوا سبيلي فأبوا ذلك وهموا بقتله فلما صار ابو نصر مضطراً ترجل وحارب حتى قتل ومن معه ووقعت لهذه المصيبة في أفئدة أمراء الشام مواقع فطلبوا اللصوص ودفنوا أبانصر وصلبوهم على جذوع عند قبره . وبعض من لم يكن له معرفة بالتواريخ يحكي ان ابا نصر قد عراه الماليخوليا ومر على شط دجلة برجل يبيع التمر فقال له كيف تبيع التمر ؟ فأجاب الرجل بكلام غير ملائم فضربه وقال : أسألك عن الكيف وأنت تجيب عن الكم . »

ولو صحت حكاية قتل الفارابي الأشار اليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريباً من زمنه كأبي الحسن علي السعودي المتوفى سنة ٣٤٦ه‍ ٩٥٧ م . على انا لاحظنا في ترجمة البيهقي للفارابي خلطاً تاريخياً يزعزع الثقة بها وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابي يشبه ان تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل ابي الطيب المتنبي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس الى الشام سنة ٣٥٤ ه‍ .

وقد وقع للبيهقي خلط ايضاً في ترجمة الفارابي حيث نقل عن كتاب « اخلاق الحكماء » : ان الصاحب اسماعيل بن عباد بعث الى ابي نصر هدايا وصلات واستدعاه اليه وأبو نصر يتعفف وينقبض ولا يقبل منه شيئاً . حتى ضرب الدهر ضرباته ووصل ابو نصر الى الري ، ودخل مجلس الصاحب متنكراً الى آخر ماذكره من رواية تشابه القصة المروية عن اتصال الفارابي بسيف الدولة .

والصاحب اسماعيل بن عباد ولد سنة ٣٢٦ فهو عند موت الفارابي كان صبياً لم يجاوز ١٣ عاماً .

اما صلاة ابن حمدان في بعض خواصه على جنازة ابي نصر التي عني المؤرخون بتسجيلها ، فهي آية مودة وتكريم من سيف الدولة لرجل آتاه الله حكمة تتعالى عن عقول العامة وقلوبهم .

هذه هي جملة حياة الفارابي مستخلصة من الحشد المضطرب في كلام من ترجموا له .

وقد عاش الفارابي عيشة الزهاد حياته كلها فلم يقتن مالاً ، ولا اتخذ صاحبة ولا ولداً وكان يستطيع أن يستمتع برفه العيش خصوصاً في شيخوخته أيام استظلاله بظل الملك الجواد سيف الدولة بن حمدان لكنه لم يكن يتناول من سيف الدولة الا اربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري العيش وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولو شاء زيادة لوجد مزيدا .

وروى ابن ابي أصيبعة انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط — الحملان جمع حمل الذكر من ولد الضأن — قال ابن خلكان : (وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : وكان منفرداً بنفسه لا يكون الا عند مجتمع ماء أومشتبك رياض ويؤلف كتبه هناك وكان اكثر كتبه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس الا قليلاً ولذلك كانت اكثر تصانيفه فصولاً وتعليقات وبعضها مبتوراً ناقصاً » ج ١ ص ٢٥٦ — ٢٦٠ .

وتلك حياة فيلسوف زاهد موسيقي شاعر اما فلسفة الفارابي فستأتي أشارة اليها واما ابداعه الموسيقي فقد رويت فيه اعاجيب .

وحكى ابن خلكان : ان ابا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو بزي الأتراك وكان ذلك زيه دائماً فوقف فقال له سيف الدولة : اقعد فقال : حيث انا أم حيث أنت ؟ فقال حيث انت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى اخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل ان يعرفه أحد فقال لهم بذلك اللسان : ان هذا الشيخ قد اساء الادب واني مسائله عن اشياء ان لم يوف بها فاخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيها الامير اصبر فان الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة منه وقال له : أتحسن هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً فعظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون مايقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له :

هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا : فهل تشرب ؟ فقال : لا فهل تسمع ؟ فقال نعم فامر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بانواع الملاهي فلم يحرك احد منهم آلته الا وعابه ابو نصر وقال له اخطأت فقال له سيف الدولة وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال نعم ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها وركبها تركيباً اخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم قياماً وخرج .»

ولئن كانت هذه الحكاية ادنى الى الاساطير منها الى التاريخ فهي تشبه أن تكون غلواً مجاوزاً لا اختراعاً صرفاً ٠

وقد روي للفارابي شعر فيه نفحة من اساليب الفلاسفة أحياناً وفيه احياناً صريخ محب للعزلة سيئ الرأي في الناس ومما روي من شعره :

يا علة الاشياء جمعاً والذي　　كانت به من فيضه المتفجر
رب السماوات الطباق ومركز　　في وسطهن من الثرى والأبحر
أني دعوتك مستجيراً مذنباً　　فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من　　كدر الطبيعة والعناصر عنصري

وروى له هذا الشعر ابن أبي أصيبعة وروى له ايضاً :

لما رأيت الزمان نكساً　　وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال ٠　　وكل رأس به صُداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً　　به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحاً　　لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى　　ومن قراقيرها سماع
وأجتني من حديث قوم　　قد اقفرت منهم البقاع

وروى له ايضاً :

بزجاجتين قطعت عمري　　وعليهما عولت أمري
فزجاجة ملئت بحبر　　وزجاجة ملئت بخمر
فبذي أدون حكمتي　　وبذي أزيل هموم صدري

« مقدمة المجموعة المسماة — الفلسفة القديمة — المطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٩١٠ » وذكر ابن خلكان : انه وجد في مجموعة ابياتاً منسوبة الى الفارابي هي :

أخي خل حيز ذي باطل　　وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا　　وما المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على　　أقل من الكلم الموجز

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهل نحن الا خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
محيط السماوات أولى بنا فماذا التنافس في مركز

وقد شك ابن خلكان في صحة هذه الابيات وذكر أنه رآها في كتاب « الخريدة » منسوبة الى شاعر من شعراء القرن السادس معاصر لصاحب الكتاب .

ونحن نشك في معظم هذا الشعر أن يكون للفارابي لما في أسلوبه من تكلف ينبو عنه أسلوب فيلسوفنا وطبعه . ولما في معانيه من تبرم بالحياة والناس واستهتار بالشراب .

والفارابي انما كان يعتزل الناس ويؤثر الوحدة لمارأى أمراالنفس وتقويمهااول مايبتدي به الانسان حتى اذا أحكم تعديلها وتقويمها ارتقى منها الى تقويم غيرها كما ذكر ذلك في كتاب « الجمع بين رأيي الحكيمين » تبريراً لتخلي افلاطون عن كثير من الأسباب الدنيوية وإيثاره تجنبها ولم يكن الفارابي ضجراً بالحياة ولا متبرماً بالناس أما الخمر فماحسبه كان يشربها شهوة وتلهياً ، ذلك الرجل الذي كف نفسه عن شهوات الحياة ولهوها وقد يكون ضاع شعر الفارابي فيما ضاع من آثاره .

ولولا شك ابن خلكان شكاً وجيهاً لرجح عندنا أن يكون الفارابي هو القائل :

محيط السماوات أولى بنا فما ذا التنافس في مركز

بقي الكلام على فلسفة الفارابي ومكانه من الفلسفة الاسلامية .

ــ يقولون : الحكماء أربعة ــ اثنان قبل الاسلام ، وهما : أفلاطون وأرسطو ــ . واثنان في الاسلام ، وهما : ابو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا . وكان بين وفاة أبي نصر وولادة أبي علي حوالى ثلاثين سنة وكان أبو علي تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه لولاها لما اهتدى الى فهم ما بعد الطبيعة .

وكما لقب افلاطون بالحكيم الآلهي وأرسطاطاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس .

وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا فالقفطي يقول عن الفارابي : ــ « فيلسوف المسلمين غير مدافع » ويقول ابن خلكان (وهو اكبر فلاسفة المسلمين) .

ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس ابو علي بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه) .

أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين ومنهم الفارابي: « وانما علامة القوم أبو علي الحسين بن سينا » ويقول ابن سبعين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال : انه انتحر بمكة شوقاً الى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ في كتاب له مخطوط مانصه نقلاً عن المجموعة التي نشرها الأستاذ « ماسينيون » :

وأما الفارابي اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهيولاني وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بعد ، وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ماذكر في كتاب الأخلاق و كتاب الملة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تآليفه في المنطق وعدة كتبه نحو ٧٥ كتاباً وفيها من الالهيات ٩ وهذا الرجل أفهم فلاسفة الاسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير ومات وهو مدرك ومحقق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلاً » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وابن سبعين هذا قد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد ويقول الاستاذ « كارادەڤو » في ترجمته للفارابي بدائرة المعارف الاسلامية :

« ومذهب الفارابي هو مذهب الفلاسفة الأفلاطونية أعني الأفلاطونية الجديدة الاسلامية الذي بدأه من قبله الكندي ووجد في كتب ابن سينا من بعده أكمل عبارة عنه وقد يكون من الراجح أن الفارابي يخالف الكندي وابن سينا في بعض المواضع ولكن من العسير تعيين هذه المواضع ومن المناسب التحفظ بل الشك في تفسير مايتعلق بتفصيل مذهبه والواقع انا لانعرف من آثاره الا قليلاً ثم ان أسلوبه لا يخلو من غموض وفيما عرفناه من رسائله ما هو مصوغ في صورة حكم في نهاية الايجاز من غير نظام في ترتيبها ثم انه لايمكن البت عن يقين بأن مؤلفات كثيرة كمؤلفات الفارابي يتداولها تأثير أرسطو والافلاطون وأفلوطين تتجرد من التناقض على أن الفكرة التي تعتبر قاعدة لهذا المذهب وهي التوفيق بين ارسطو وافلاطون من ناحية وبين هذه الفلسفة الملفقة وبين العقيدة الاسلامية من ناحية أخرى ليست في نفسها سليمة من التضارب » .

وهذه العبارة في جملتها قد تبين بياناً صحيحاً عن مكانة كل من الكندي، والفارابي، وابن سينا ، في الفلسفة الاسلامية وان كانت تفاصيلها لا تخلو من نقد · والفارابي من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصاً في المنطق وأثره في هذا الباب هو الذي جعله يستحق التلقيب بالمعلم الثاني إذ كان أرسطو هو الأول هذا هو رأي بعض المترجمين للفارابي ، ومنهم « كاراده ڤو »

وفي كتاب « ابجد العلوم » لحسن صديق خان ما نصه :

« وفي حاشية المطالع لمولانا لطفي : ان المأمون جمع مترجمي مماكته كحنين بن اسحاق وثابت بن قره وترجموها بتراجم متخالفة مخلوطة غير مخلصة ومحررة لا توافق ترجمة أحدهم للآخر فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة بل أشرف أن عفت رسومها الى زمن الحكيم الفارابي · ثم انه التمس منه ملك زمانه « المنصور بن نوح الساماني » ان يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة فأجاب الفارابي وفعل كما أراد وسمى كتابه « بالتعليم الثاني » فلذلك لقب « بالمعلم الثاني » ، وكان هذا في خزانة المنصور الى زمان السلطان « مسعود » من أحفاد المنصور كما هو مسوداً بخط الفارابي غير مخرج الى البياض اذ الفارابي غير ملتفت الى جمع تصانيفه وكان الغالب عليه السياحة على زي القلندرية وكانت تلك الخزانة باصفهان وتسمى « صوان الحكمة » وكان الشيخ أبو علي ابن سينا وزيراً لمسعود وتقرب اليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم اليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها « التعليم الثاني » ولخص منه كتاب « الشفاء » ثم ان الخزانة أصابها آفة فاحترقت تلك الكتب فأتهم ابو علي بأنه أخذ من تلك الخزانة الحكمة ومصنفاته ثم أحرقها لئلا تنتشر ولا يطلع عليه فأنه بهتان وافك لأن الشيخ مقر لأخذه الحكمة من تلك الخزانة كما صرح به في بعض رسائله وأيضاً يفهم في كثير من مواضع الشفاء أنه تلخيص « التعليم الثاني » ·

وفي ذلك القول خطأ تاريخي فان منصوراً بن نوح الساماني أنما ولي أمر خراسان بعد سنة ٣٤٣ ﻫ بعد موت الفارابي ·

ولا ينتهي فضل الفارابي عند تفسير كتب أرسطو وتصحيح تراجمها والتمهيد بذلك للنهضة الفلسفية في الاسلام التي تكاملت من بعده بل له أيضاً أنظار مبتدعة وابحاث في

الحكمة العلمية والعملية عميقة سامية لماتتهيأ بعد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلاً وافياً وللفارابي كتاب في المدينة الفاضلة كما أن لأفلاطون كتاباً في الجمهورية الفاضلة .

والفارابي هو أول من عني باحصاء العلوم وترتيبها في كتابه « إحصاء العلوم » الذي نشره أحد خريجي قسم الفلسفة من كلية الآداب في سنة ١٣٥٠هـ ١٩٣١م « عثمان أفندي أمين » ووضع له مقدمة طيبة والذي يعنى بنشره بعض المستشرقين الاسبانيين أيضاً ومن أجل ذلك يعتبر بعض الباحثين أبا نصر أول واضع في العالم لنواة دوائر المعارف .

ولئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب فانه قد استحق ذلك بما وهب من حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير البشري وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة .

« القاهرة » . مصطفى عبد الرازق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ⁂ —

اصطلاحات النباتات الدنيا

—:0:—

قلت في المقالة التي عنوانها «الأسماء العربية للثمار النباتية[1]» ان الدكتور امين باشا المعلوف نشر في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات بدأه بالبزرة وأنهاه بالزهرة ولم يتعرض العالم المشار اليه للاصطلاحات المستعملة في النباتات الدنيا كالفطر والطحلب والسرخس والأشنة وأمثالها . ولما كانت هذه الاصطلاحات مهمة وكان عددها كبيراً وكانت المعاجم الأعجمية العربية خلواً من معظمها وكان ما حوته تلك المعاجم فيه نظر رأيت من المفيد استقصاء بعضها في هذه المجالة وذكر الألفاظ العربية التي تصلح لها دون البحث عن شؤونها العلمية لأن القارئ يراها في كتب النبات .

جميع النباتات التي تناولها هذا البحث لا زهر لها فهي إذن من عديمة الأزهار . واعلاها السرخس Fougère فان له ساقاً وورقاً وجذوراً ومنه الخنشار المسمى باللاتينية Polypodium filix mas ويليه الطحلب ويسمونه الرماض فان له ساقاً وورقاً وهو بالفرنسية Mousse

وأدنى من ذلك الفطر Champignon والأشنة Algue فليس فيها سوق ولا ورق ولاجذور . والفطور لاخضوب فيها اما الأشنة ففيها خضوب .

وفي صف الفطور اربع رتب وهي اولاً رتبة الفطور اليفية Oomycètes وفيها تلك النباتات الدنيا التي تحدث العفونة على المواد العضوية المنحلة ومعظمها من فصيلة العفونة أو المتعفنات Mucorinées

ثانياً رتبة الفطور الدعامية Basidiomycètes وسماها الدكتور شرف في معجمه

---

(١) م ١٢ ج ٣

رتبة الفطور الاصلية وربما كانت الاولى اصلح • وهي فطور تنشأ غُبيراتها Spores على خلايا خاصة تسمى دعائم Basides • ومنها معظم الفطور الكبيرة التي لها قبعات وترى في الحقول بعضهـا سام وبعض يؤكل • ومنهـا ايضاً التي تولد في الحبوب مرض الصدأ Puccinia graminis الخ •

ثالثـاً رتبة الفطور الجرابية او القربية او الزقية Ascomycètes وهي التي تنشأ غبيراتها على خلايا تسمى واحدتها قربة او جراباً Asque ومنها الكمأة والفقع وهمـا من الفصيلة الكمئية •

رابعـاً رتبة الفطور المخـاطية او الهلامية Myxomycètes وهي ابسط الفطور في تركيبها •

وصف الأُشنة هو صف النباتات الدنيا التي تعيش في المياه او في الأماكن الرطبة الهواء وتعرف بوجود الخَضوب في خلاياها خلافاً للفطور ويسميها بعضهم الأُشنة وشيبة العجوز والغَريبْ وسماها الدكتور شرف الفُوقَس وهي ترجمة اللفظة اليونانية وردت في مفردات ابن البيطـار مصحفة هكذا (قوفس البحري) مع ان الفوقس من اجناس هذا الصف وفي الصف المذكور اربع رتب وهي :

اولاً رتبة الأُشنة الزرقاء Cyanophycées وهي الأُشنة التي يكون خضوبهـا مشوباً بمادة زرقاء اللون منتشرة في جِبِلّة الخلايا الأولى Protoplasme •

ثانياً رتبة الأُشنة الخضراء Chlorophycées وهي التي لا يشوب خضوبها لون آخر •

ثالثاً رتبة الأُشنة السمراء Phéophycées وهي التي يكون خضوبها مختلطاً بمادة سمراء تجعل النبات اسمر اللون • وفي هذه الرتبة الفصيلة الفوقسية Fucacées ومنهـا الفُوقَس Fucus وهي نباتات يسمونها بالفرنسية Varechs •

رابعاً رتبة الأُشنة الحمراء Rhodophycées وهي الأُشنة التي يكون مع خضوبها مادة حمراء يصطبغ النبات بها •

ويطلقون لفظة الحزاز على نباتات تنبت على لحاء الشجر وعلى الصخور والجدران يسمونها بالفرنسية Lichens وقد وردت بهذا الأسم في كتب الأتراك وسماها به الدكتور شرف

ايضاً كما اطلق عليها لفظة الأشنة وشيبة العجوز . اما الاتراك فانهم اطلقوا لفظة الأشنة على ماذكرنا دون غيره .

قلت ان الفطور والأشنة بسيطة التركيب لاتتميز فيها السوق عن الورق ولا هذه عن الجذور . وجسم النبات البسيط الذي يكون على هذا الشكل يسمى بالفرنسية Thalle (وتسمى الشعبة التي تنسب اليها تلك النباتات Thallophytes) . ولم اجد بالعربية لفظة تفيد هذا للمعنى تماماً اي لفظة يمكن اطلاقها على جسم نبات بسيط لا ساق فيه ولا ورق ولا جذور . وسماه الدكتور شرف البارض . فالبارض هو اول مايطلع من النبات وهو غير التالوس المذكور لأن البارض بعد ان يكبر تتميز فيه الأعضاء المذكورة . ومع هذا لابأس من استعارة هذه اللفظة واشباهها لهذا المعنى الى ان نجد اقرب منها الى معنى التالوس الحقيقي .

وفي العربية ألفاظ كثيرة لها معنى مقارب للبارض اللغوي منها الأُسّاس وهو البقل مادام صغيراً لاتستمكن منه الراعية . ومنها النامِج من نمج الزرع اي طلع اول طلوعه . ومنها المُقَرَّح من قرّح النبات خرجت رؤوس ورقه . ومنها الذُعْطورة ج . الذعاطير وهو اول نبات الوسمي . واصلحها جميعاً لما نحن في صدده المَشْرة وهي الأغصان الخضر الرطبة قبل ان تتلوّن بلونٍ وتشتدّ وهي ايضاً اول النبات . قلت انها اصلح الجميع لأن لفظة Thalle الفرنسية مشتقة من Thallos اليونانية بمعنى الغصن . فيمكننا إذن ان نستعمل المَشْرة للتالوس والمشريّات للتالوفيت .

والمشرة اشكال . فاذا كانت خيوطاً متشابكة سميت بالفرنسية Mycélium وعربها الدكتور شرف بلفظة ميسيل . ورأيت انه يمكن ان نطلق عليها لفظة مشيجة نباتية .

وليس للنباتات الدنيا أزهار كما ذكرنا وهي تتكاثر بالتجزئة او بخلايا خاصة تحصل في المشرة يسمونها Spores وهي من اليونانية بمعنى البذر . فنحن اذا اسميناها بذراً او بزوراً كما في المعاجم الأجنبية العربية ومنها معجم شرف التبس الأمر على القارئ لأن البذور في المشهور حبوب ذوات الأزهار وهي بالفرنسية Graines . ولذلك كنت سميت السبور غُبيرة ووجدت اخيراً ان العلامة بوست كان سبقني اليها . والذي دعاني الى استعمال هذه اللفظة ان للسبور شكلاً يسمونه Conidie وهو من اليونانية بمعنى الغبار .

والفرق بين السبور والكونيديا ان الأولى تنشأ في خلية كبيرة يسمونها Sporange اي كيس الغبيرات او وعاؤها اما الثانية فتنشأ على قمة الخيوط المشربة مباشرة فهي إذن غبيرات خارجية .

وللنباتات التي يتناولها مقالنا هذا طريقة أخرى للتكاثر وهي حصول بيضة من تلقح خلية ذكرية لأخرى انثوية . فالخلية الذكرية تسمى Anthérozoïde وقد رأيت ان اطلق عليها لفظ النطفة النباتية . وهي تكون في وعاء اسمه Anthéridie وهو وعاء النطفة النباتية . اما الخلية الأنثية فهي تسمى Oosphère من اليونانية Oôn بمعنى البيضة و Sphaira بمعنى الكرة ولذلك سميناها الكرة البيضية . والوعاء الذي تكون فيه يدعى وعاء الكرة البيضية Oogone .

هذا مارأيت ان أذكره في هذه المقالة ولعلي اتمكن من متابعة هذا البحث في فرصة أخرى .

وبعد نلخص الألفاظ التي مر ذكرها بما يلي :

الفطور البيضية	Oomycètes
فصيلة المتعفنات	Mucorinées
الفطور الدعامية	Basidiomycètes
دعائم	Basides
صدأ الحبوب	Puccinia graminis
الفطور الجرابية او الزقية	Ascomycètes
الفصيلة الكمئية	Tuberacée
الفطور المخاطية او الهلامية	Myxomycètes
الأشنة	Algues
الأشنة الزرقاء	Cyanophycées
« الخضراء	Chlorophycées
« السمراء	Phéophycées
« الحمراء	Rhodophycées

Fucus	الفُوقَس
Lichens	الحزاز
Mousse	الطحلب
Fougère	السَّرَخْس
Polypodium filix mas	الخنشار
Thalle	المَشْرة
Thallophytes	المَشْريّات
Spore	الغُبيرة
Sporange	وعاء الغبيرة
Conidie	الغبيرة الخارجية
Anthérozoïde	النطفة النباتية
Anthéridie	وعاء النطفة النباتية
Oosphère	الكرة البيضية
Oogone	وعاء الكرة البيضية

مصطفى الشهابي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com